

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

الرقم التسلسلي.....

مستويات تلقي السرد في الإمتاع والمؤانسة
لأبي حيان التوحيدي

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي

شعبة السرد العربي القديم

إشراف الأستاذ الدكتور

دياب قديد

إعداد الطالبة

راضية صحراوي

لجنة المناقشة:

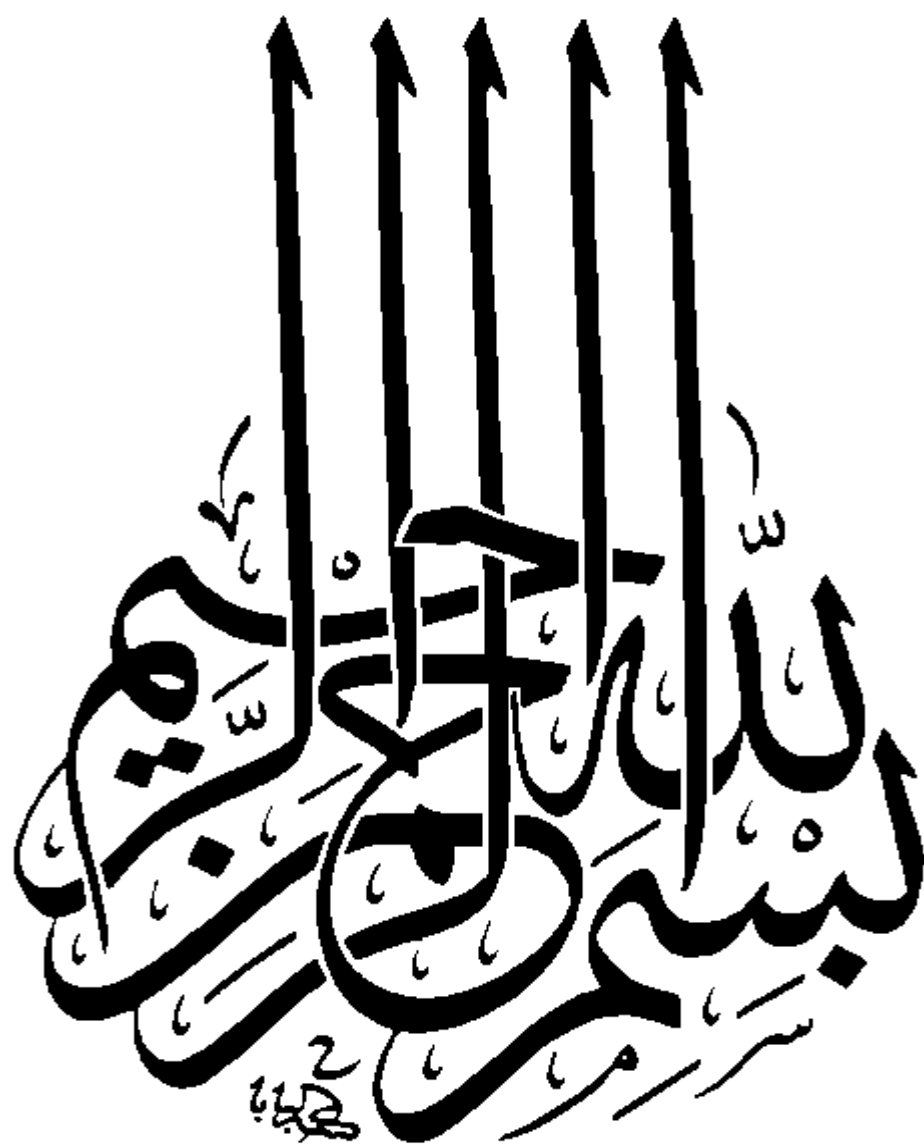
الأستاذ الدكتور: حسن كاتب.....رئيسا

الأستاذ الدكتور: دياب قديد.....مشرقا ومقرا

الأستاذ الدكتور: رشيد قريع.....عضوا مناقشا

الأستاذ الدكتور: محمد بن زاوي.....عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2011-2012



الإهداء

إلى معلمي الأولين اللذين رعاياني حتى أوصلاني إلى

شاطئ العلم

"أمي و أبي"

إلى "جدي" الذي كان يعلم دوماً أن يراني أتبعوا

أعلى المناصب

إلى كل إخوتي و أخواتي

إلى كل أسرتي

إلى كل طلاب العلم

إلى هؤلاء جميعاً أقدم هذا العمل

شكر و تقدير

جزيل الشكر والتقدير ألس تلي الشرف للأت لذك تور لبي قدي د"
على طواص بعروت فهم لك مني أسمي عبارات الشكر لتواقي دير
جزيل الشكر لأسلنتي من لجنه الفناقشة ال في ريس هرون لعي قراءه هذا
ل بلجث وبقوي م ه .

شكر جزيل ل الأستاذ مع ال أقي سعل لي تش جي عن قتي فضل اه الكتمل هذا
ل بلح مثلك مني خلصال شكر لوتواقي دير
إلى كل من ساهفي إن جاز هذال بلح مثلكم مني جزيل الشكر ولار عفان

مقدمة

مقدمة:

يشكل الموروث السردى العربى القديم عامة و عند أبى حيان خاصة نموذجاً متفرداً من حيث الأداء والصياغة والتشكيل ، إذ قدم أبو حيان التوحيدي صورة دقيقة و صريحة على مختلف أشكال الحياة الإجتماعية و السياسية و الأدبية فى عصره ، ذلك أنه حاول رسم معالم عصره من خلال كتابه الإمتاع و المؤانسة الذى كان نتاجاً للمسامرات التى جرت بين التوحيدي و ابن العارض خلال أربعين ليلة .

إن هذا البحث هو قراءة حدائثية من منظور نظرية التلقى التى تكشف عن مستويات متعددة فى الخطاب المروي المعاصر، وطرائق التعبير فيه من أجل تحديد مستويات التلقى لأى منجز سردى.

من هنا تحاول هذه المذكرة ملامسة عمق مستويات تلقي الإمتاع و المؤانسة مع مراعاة الفارق بين السرود الشفاهية والكتابية ، و ما ينبثق عنها من تغييرات على مستوى البنية السردية.

إنطلاقاً من هذا التصور الإستمولوجي جاءت هذه المذكرة للوقوف عند مختلف مستويات تلقي النص السردى وخاصة من خلال الإمتاع و المؤانسة ، لأن أبا حيان التوحيدي لا يعرض بالتفصيل لكل الجوانب و الجزئيات المرتبطة بسرده ووصفه، بل فى أحيان كثيرة يسكت عن قضايا يتركها للقارئ للإطلاع عليها ، والكشف عن خباياها إنطلاقاً من قدرة القارئ على استكناه بنية النص المسرود كتابة أو مشافهة ، وجعله مندمجاً بصورة كبيرة ما يقدم إليه من سرد أو وصف لأى ظاهرة أفضية يعرضها على المستمع.

و على هذا الأساس تميز الإمتاع و المؤانسة بطريقة خاصة في سرده ، و مسامراته الليلية مع الوزير ، إذ منذ الوهلة الأولى وضع أبو حيان التوحيدي شروط الحديث بينه و بين ابن العارض ، و لتحقيق التواصل مع الوزير و إرضاءه إعتد التوحيدي على أساليب مختلفة منها الخبر والحوار الذي شكل عنصرا هاما من عناصر السرد التوحيدي طرفاه الرئيسيان ابن العارض و التوحيدي، الأول يسأل و الثاني يجيب إلى ان يحصل الفهم عن طريق التنويع في الأساليب كالسؤال، التعليق، الرواية، الإسناد.

إن طبيعة المادة المطروحة في كتاب الإمتاع و المؤانسة مكنته من أن يكون ميدان خصبا للدراسة لأنه كان نتاج إجتماع ثقافتين مختلفتين ، ثقافة التوحيدي و ثقافة ابن العارض ، فقد كان لكل منهما مخزونه الكافي الذي ساعده على أن يكون عضوا فاعلا في إنتاج ليالي الإمتاع و المؤانسة ، فتعدد الرواة على مستوى الليالي و تعدد المتلقون ، وهذا ما أدى إلى تعدد مستويات التلقي .

و من أجل تحقيق مقاصد البحث و أهدافه كان لا بد من العودة إلى جميع الكتب التي أشارت إلى أشكال السرد عند التوحيدي على الرغم من قلتها ، كان أهمها **معجم الأدباء لياقوت الحموي** ، و أما في الوقت الحاضر فإن هناك بعض الدراسات التي حاولت تسليط الضوء على الموروث السردى التوحيدي منها الدراسة التي قام بها سعيد يقطين في كتابه **السرد العربي مفاهيم وتجليات** والتي ركز فيها على دراسة السرد في الإمتاع و المؤانسة ، كذلك الدراسة التي قامت بها **وتيكي كميلى والموسومة ب كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة (مقاربة تداولية)** التي حاولت من خلالها تسليط الضوء على التوحيدي باعتباره علما من أعلام القرن الرابع الهجري و الذي لم يحظ بالكثير من الإهتمام سواء من معاصريه أو حتى ممن

جاء بعده من الباحثين ، وقد كانت عوننا لي في كشف الكثير من الجزئيات في حياة التوحيدى .

إن حرصى الشديد على قراءة الموروث السردى العربى القديم و خاصة التوحيدى هو ما دفعنى إلى أن جعلته موضوع مذكرة الماجستير بغية الكشف عن كيفية السرد، مستويات تلقيه .

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة فصول

الفصل الأول تحت عنوان السيرة الذاتية لأبى حيان التوحيدى ، وقد عمدنا فيه للتعريف بأبى حيان التوحيدى منتج "الإمتاع و المؤانسة" ووقفنا على السياقات التاريخية و الثقافية و النفسية التى ساهمت فى بلورة شخصيته و تجربته الإبداعية .

وقد خصصنا جزءا من هذا البحث للحديث عن العناصر البيوغرافية فى حياة التوحيدى، أما الجزء الثانى فخصصناه للحديث عن الأحوال السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية السائدة فى عصره و الجزء الثالث خصصناه لبيئته الثقافية و الجزء الأخير فخصص للحديث عن النهاية المؤلمة لأبى حيان ككاتب ، و إشكالية حرقه لكتبه ، وللوقوف عند كل هذه التفاصيل من حياة التوحيدى إعتمدنا على مجموعة من المراجع أهمها معجم الأدباء لياقوت الحموى، أبو حيان التوحيدى ، أديب الفلاسفة و فيلسوف الأدباء لذكريا ابراهيم.

أما الفصل الثانى فعنوانه البنية السردية فى الإمتاع و المؤانسة ، وتعرضنا فيه للحديث عن الفوارق الموجودة بين الخطاب الشفاهى و الخطاب المكتوب، ووقفنا عند أهم التغييرات التى تحصل ، كما حاولنا الوقوف على البنية السردية للنصوص إنطلاقا من تحديد مفهوم السرد التوحيدى و التركيز على أهم مكوناته ، الخبر و الحوار ، و بحثنا فى مصادر الحديث لدى التوحيدى ، و قمنا بدراسة الفضاء على مستوى الإمتاع و المؤانسة

و قسمناه إلى نوعين ، الفضاء الجغرافي الذي جرت فيه المسامرات و هو المجلس ، حددنا الموضوعات المختلفة للمجلس عموما ، ثم مجلس الوزير ابن العارض خصوصا ، واستخلصنا مواصفاته من خلال ما ورد في نصوص الليالي.

كما حاولنا دراسة الزمان و لاحظنا أنه ينقسم إلى زمنين مختلفين ، زمن إجراء المسامرات و زمن الحديث الفعلي و زمن الكتابة الذي شكل مرحلة ثانية من مراحل إنتاج نصوص الإمتاع و المؤانسة، وقد إعتدنا على مجموعة من المراجع التي إهتمت بدراسة البنية السردية نذكر منها بينة النص السردى لحميد حميداني، الرواية و التراث السردى لسعيد يقطين وغيرهما من الدراسات.

أما الفصل الثالث فعنوانه مستويات التلقي في الإمتاع و المؤانسة ، حاولنا من خلاله البحث في مستويات تلقي النصوص السردية منطلقين من تحديد أنواع المتلقين ، وقد إعتدنا هذا التقسيم : متلقي عام | متلقي خاص ، متلقي سلبي | متلقي إيجابي ، متلقي معياري ، متلقي سامع | متلقي قارئ ، ومن خلال هذا التحديد بحثنا في مستويات تلقي الإمتاع و المؤانسة و حددنا مستويات تلقي هذه النصوص في ثلاثة أشكال ، متلقي سامع ، متلقي قارئ ، متلقي متكلم | كاتب و في هذا السياق إعتدنا على مجموعة من المراجع الخاصة بالتلقي أهمها : فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب لإيزر فولفغانغ ، و روبرت هولب ، نظرية التلقي

أما المنهج المعتمد في هذه الدراسة فقد زاوننا بين المنهج التاريخي، البنيوي ونظرية التلقي التي أرسى دعائمها ياوس و آيزر.

وفي ختام هذه المقدمة لا يفوتني تقييم الشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور "دياب قديد" على جميل صبره و تفهمه ، والذي أحاط هذا البحث بالرعاية و المتابعة العلمية

الجادة والتميزة ، وبتشجيعاته التي كانت دافعا قويا لتقديم البحث على هذه الصورة فكان نعم المشرف فله مني جزيل الشكر.

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة على تحشمهم عناء قراءة هذا البحث .

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد أسهمت بعلمي هذا المتعلق بدراسة الموروث السردي التوحيدي في الكشف عن بعض خصائص النصوص الأدبية التراثية ، وكذا في إنارة الطريق للباحثين الراغبين في إثراء ميدان البحث في مجال السردية العربية.

الف ل الأول:

1. سيرته
2. المظهر السياسي و الإجماعي
3. بيئته الثقافية
4. مهنة التوحيدي
5. مهنته
6. أساتذته
7. مؤلفاته
8. حرق التوحيدي لكتبه
9. أسباب الحرق

فمفء:

فءء أبو ففان الفوفءف رمزا من رموز الففافة العربفة وعلما من أعلام العصر العباسف أرء لءقبة زمنية مهمة من مراحل فطور الففافة العربفة، أهمله معاصروه لسوء أخلاقه - من وءهة نظرهم- وأنصفه المءءئون لكونه فمئل قفمة أدبفة كبرفة. فهو فلفص أحسن ما وصل إلفه العصر العباسف من فطور علمف وففافف لففافته الموسوعفة وبراعته فف شق العلوم فلقبه بعض الباففن بأءفب الفلاسفة وففسوف الأدباء.

ساهم الفوفءف فف فصورف ففة الناس ءلال القرن الرابع المءرفف متأثرا بالمظاهر السفسفة الإءتماعفة و الففافة الفف عاشها فف طفولته وشبابه، فففض ذلك ءلفا من ءلال ءتاب " الإمفان والمؤانسة" الءف شكل وثفقة هامة صورف الءفر من الأخبار والمروفاء ونمف عن معرفة كبرفة وءءارب عمفقة وظروف نفسفة شافة عاشها. وءولها إلف معرفة موسوعفة لأءوال العصر والزمن والإنسان ءاول ءفسفءها من ءلال رؤفة فلسففة ءاصة عبر مؤلفاته وطوال مراحل عمره .

شكل الءءف عن المظهر السفسف الءانب الأكبر من ءتاب الإمفان والمؤانسة على اعءبار أنه المؤثر الفعلف فف الففة الإءتماعفة والإقفصاءفة والفكرفة، وقد ءاول أبو ففان إءءاء آرائه الصرففة أو الضمنية من ءلال لفالف السمر مع " ابن العارض" منفعلا بما كان ففشفه وفسمعه من قضافا سفسفة ءوهرفة مءعلقة بنظام الءكم ، وكان لا ففردد فف طرح الءلول لبعض مشءلات عصره ، كما أنه لا ففردد فف إصءار أحكام ءرففة عن رجال السفساة فف عصره كالصاحب بن عباد وابن العمفء.

لقد كان لتدهور الأوضاع السياسية في عصر أبي حيان أثر واضح على الحياة الاجتماعية والإقتصادية، ساءت الأحوال وعمت الفوضى وانتشر الفقر بين طبقات المجتمع و انعدم الأمن واستحالت الحياة بسبب انتشار الخوف والرعب بين أوساط العامة نتيجة الصراع المذهبي في المجتمع.

حاول التوحيدى تقصي كل مظاهر الفساد و الخلل الإجماعي السائدة خلال عصره، وقد عكف على تصوير حياة الناس بكل مظاهرها ونقل صورة واضحة عن كل ما كان سائدا من فساد الأخلاق عند العامة و الخاصة و لم يتوان في كشف عيوب زمانه و هذا من باب حرصه على نقل صورة حقيقية عن عصره لأن الوزير ابن العارض كان مهتما بالتعرف على شؤون البلاد باعتباره رجل السياسة الحريص على تقصي أحوال العامة والخاصة.

عاش التوحيدى تيمسا طوال حياته ، في صراع دائم مع الناس ومع نفسه لأن طموحه كان جارفا اعتر بنفسه كثيرا وكان يرى أنه يستحق المكانة الرفيعة والجاه، إلا أنه ظل طول حياته يلهث وراء المجد والمال فلم ينل إلا اليأس والحرمات وما كان منه إلا أن أحرق كتبه تعبيرا عن سخطه وظنا بها على أهل زمانه لأنه لم يجد فيهم من يعرف قيمتها بعده.

لقد أحرق التوحيدى كتبه وغسلها بالماء في آخر عمره في عشر التسعين أي قبل أربعة عشرة سنة من وفاته؛ هذه الظاهرة الغنية بالدلالات دفعت الكثير من الباحثين والنقاد إلى دراستها والتركيز على الحالة النفسية للتوحيدى والتي نتجت عن تراكم مجموعة من العوامل الاجتماعية والسياسية و البيئية عاشها التوحيدى فعملت على تكوين شخصية قلقة ومضطربة.

وقء ساعءء الرساءة الؤف بعءها إلى صءفقه القاضف أوف سهل- سنة أربعماءة هجرفة- فف فهم نفسفءه القلقة فف أواؤر هفاءه والؤف حاول من ءلالها ءبرفر فعل الؤرق و الءعبفر عن أسفه وءففة أمله بعء أن انكشفت له الؤفاة على ءقفءها . وءف فعزز نفة الؤرق هءه و فقنع نفسه بصءة قراره و فقنع الناس بعءه أقءم على اسءءارة الله أفاما ولفال ءف أوحى إلفه فف المنام وانءهى مقءما على ما فعل عفرف مرءء ولا هفاب وأمضى ما ءبقى من عمره مءصوفا زاهءا ءف آؤر أفام هفاءه.

1. سيرته:

1.1. اسمه :

هو علي بن محمد بن العباس¹ المكنى بأبي حيان التوحيدي والظاهر أن كنيته غلبت على اسمه في حياته ويرجح البعض أنه اكتسب لقب التوحيدي نسبة لحرفة والده إذ كان يبيع نوعا من التمر يسمى التوحيد ببغداد وعليه حمل بعض شراح ديوان المتنبي قوله:
يترشفن من فمي رشفات هن فيه أحلى من التوحيد²

فيما يرجح بعض الباحثين أن هذا اللقب هو نسبة إلى التوحيد الذي هو الدين عند المعتزلة إذ كانوا يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد؛ إلا أن محمد عبد الغني الشيخ ينفي هذا الزعم ويرجح إنتماءه ونسبته إلى حرفة والده ويظهر ذلك جليا من خلال كتاباته ومعاركه مع المتكلمين والمعتزلة بصفة خاصة، ويستدل على ذلك بمقولة للتوحيدي سجلها في كتاب مثالب الوزيرين تجعله في رأيه بعيد النسب إلى أصحاب العدل والتوحيد من المعتزلة يقول أبو حيان "وكان مع هذا المذهب الذي يدل به ويسميه العدل والتوحيد قليل التوبة إلى القبلة، قليل الركوع والسجود، وكان من حفظة الغزير عليه مؤتة في تلاوة آية من كتاب الله عز وجل"³

و لو كان التوحيدي من أصحاب العدل والتوحيد لما تكلم عنهم بهذا التهكم.

¹ _ ياقوت الحموي، معجم الأدياء، ج15، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ص5

² _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، المجموعة الكاملة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان صححه وضبطه وشرح

غريه خليل المنصور المقدمة ص 1

³ _ وتيكي كميلا، كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة (مقاربة تداولية) دار

قرطبة الطبعة الأولى 2004

2.1. أصله:

أجمع مؤرخو سيرة أبي حيان التوحيدي على صعوبة تحديد الأصل الذي انحدر منه ، ويرجع ذلك لانعدام أخباره وهو ما أكده صاحب معجم الأدباء إذ نجده يقول أنه لم ير أحدا من أهل العلم ذكره في كتاب ولا دجه في ضمن خطاب¹ ، و يرجح أنا سبب عزوف المؤرخين و غفلتهم أو تغافلهم عن الترجمة له - رغم علمه الواسع وبيانه الرائع- كان بسب أخلاقه على ما يظهر² لأنه كان دائم السخط على زمانه و أهل زمانه ؛ فقد عاش طول حياته في صراع بين نفسه المتشوقة إلى النعيم و الرفاهية وشعوره بالعجز عن تحقيق أمانيه و رغباته ومن نتائج هذا كله أن اشتد حسده لذوي المال والنعم ، و ازدادت كراهيته للناس و رغبتة في النيل منهم و التشنيع عليهم وهم في نظره " سباع ضارية و كلاب عاوية ، و عقارب لساعة ، و أفاعي لهاشة "³ ، وربما كان هذا سببا في عزوفهم عنه وإهمالهم له فلم يكن في نظرهم يستحق العناية في حياته و حتى بعد وفاته . وربما كان هذا التكتم عن حياة أبي حيان هو ما جعل ياقوت الحموي يختار في تحديد أصله فقال " شيرازي الأصل و قيل نيسابوري ، و وجدت بعض الفضلاء يقول له الواسطي "⁴.

أما بعض من حاول تحديد أصله فلم يجمعوا على رأي واحد ، فبعضهم زعم أنه فارسي الأصل أمثال السندوبي و زكي مبارك الذي نجده يقول "يكفي أن تعرف أنه فارسي الأصل وأنهم ترددوا في نسبته إلى واسط أو نيسابور"¹.

¹ _ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج15 ، ص5

² _ محمد كرد علي ، أمراء البيان ، الطبعة 3 ، دار الكتب بيروت ، لبنان ، 1161 ، ص452

³ _ أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤنسة ، ج1 ، ص42

⁴ _ ياقوت الحموي ، المرجع نفسه ، ص4

و ذهب عبد الرحمان بدوي إلى القول بأنه كان " من أولئك الموالي الذين اختلطت فيهم الدماء و العناصر فكونت مزيجا غريبا على أنه كان يشعر بوشاجة قربي مع الغرباء و الأفاقين حتى كان لا يخالط إلا الغرباء و المحتدين الأذنياء الأردياء و ما هذا إلا لشعوره بأنه واحد منهم . إذ كان يرتد إليهم مهما زجره عن ذلك زاجر من كبار القوم"².

ويدخل هذا الاختلاف ضمن الشكوك التي أثرت حول أبي حيان التوحيدي للتشكيك في عروبه. فيما ذهب بعض الباحثين إلى التأكيد على عروبة أبي حيان كمحمد علي كرد ، وأحمد محمد الحوفي مستندين في ذلك إلى سببين : أولهما عدم إتقانه اللغة الفارسية ، وثانيهما انعدام ما يشير إلى فارسيته في جميع مؤلفاته ولو كان كذلك لتباهى بفارسيته في حين كانت فيه الدولة للفرس³

و ربما يكون الرأي القائل بعروبة أبي حيان هو الأرجح و الأقرب إلى الصواب بالنظر إلى كنيته واسم أبيه وجده "أبو حيان علي بن محمد بن العباس" كما أن أبا حيان كان متعصبا للعرب وفضلهم عن العجم من خلال رده على الجيهاني فيما يقارب العشرين صفحة مدافعا عن العرب⁴ ومفضلا إياهم عن العجم لصحة الفطرة و اعتدال البنية و صواب الفكر وذكاء الفهم .

¹ _ زكي مبارك النثر الفني ، ص 91

² _ زكريا ابراهيم، أبو حيان التوحيدي ، أديب الفلاسفة و فيلسوف الأدباء الطبعة 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،

1174، ص 14

³ _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها

⁴ - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ، ج 1 ص 59، 73

ورغم الحيرة التي وجدناها عند المؤرخين في تحديد أصل أبي حيان، كان هو قليل الاحتفال بالفوارق العنصرية و الخلافات الجنسية فلا فرق عنده بين عربي وفارسي لأنه لم يكن يهتم بعلمه ودينه وخلقته، وحاول طوال حياته أن يكمل نفسه بالعلم و الدين و الأخلاق وسعى جاهدا إلى ربط الحكمة النظرية بالحكمة العلمية.¹

إنطلاقا من هذه الأخبار نرجح أن يكون أبو حيان عربي الأصل ، ولعل ما يؤكد هذا هو دفاعه عن العرب بشكل لافت للإنتباه.

¹ _ زكريا إبراهيم، أبو حيان التوحيدي، ص ص 15-16

3.1. مولده:

لقد كان من الصعب على المؤرخين تحديد مولد التوحيدى و ذلك بسبب تغافل معاصريه عن الترجمة له لسوء أخلاقه لأنه كان دائم السخط على زمانه حاقدًا على من حوله بسبب بؤسه و شقائه اللذين لازماه طيلة حياته وحتى بعد وفاته.

و على ما يبدو فقد كان للتوحيدى دور في هذا التعميم و الغموض، ولو قدم ترجمة ذاتية على غرار ما فعل غيره من الأدباء لما استعصى الأمر على المؤرخين و الأرجح أن التوحيدى لم يجد في طفولته أو شبابه ما يجب لنفسه الخوض فيهما ، والمتصفح لمؤلفاته لا يجد فيهما إشارة لماضييه وأغلب الظن أنه عاش طفولة بائسة حرم فيها العطف و الحنان فاتسمت حياته بالقمع والحرمان، وقد ذهب بعض الباحثين إلى القول أن التوحيدى كان يعلم أنه انحدر من أسرة فقيرة عديمة النسب و الحسب فلم يجد بدا من الحديث عنها والإشارة إليها¹.

ولعل كل من حاول تحديد مولده كان يعتمد على نوع من الإستنتاج و الترحيح مستندا إلى إشارات كانت مبعثرة ضمن مؤلفاته ، ونجد زكريا إبراهيم² يقول أنه ولد ببغداد سنة 310هـ و وافقه في ذلك إبراهيم الكيلاني⁽³⁾ ، وقد استند معظم من حدد هذا التاريخ إلى إشارتين اثنتين:

الأولى وردت في كتاب المقابسات وفيها يعترف بأنه جاوز العقد الخامس من عمره،

¹ - زكريا إبراهيم ، أبو حيان التوحيدى ص 17

² - المرجع نفسه ، ص 16

³ - إبراهيم الكيلاني ، أبو حيان التوحيدى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر ، ص 12

و ينص في الوقت نفسه أنه ألف الكتاب سنة 360هـ ، أما الثانية فقد وردت في رسالته التي كتبها إلى القاضي أبي سهل بن محمد سنة 400هـ يقول فيها أنه بلغ "عشر التسعين"¹

وعلى هذا يمكن القول أن التوحيدي قد ولد حوالي سنة 310، أو 311 الهجرية على الوجه التقريب.

و يذهب نور الدين بن بلقاسم إلى أن التوحيدي قد ولد بين سنتي 312هـ

و 320هـ ببغداد أو بإحدى قرى العراق ، و الفترة الممتدة من تاريخ ميلاد إلى سنة 350هـ هي فترة غامضة من حياته لا أحد يعرف عنها شيئاً².

فيما لم يستطع محمد كرد علي تحديد تاريخ دقيق لمولد أبي حيان و اكتفى بالقول أن أبا حيان " ولد على الغالب في أواخر القرن الرابع أو في أوائل العقد الثالث"³.

و يرجح بعض الباحثين أن طبيعة العصور الماضية كانت سببا في صعوبة تحديد ميلاد علم من الأعلام، حيث لم يكن الناس يهتمون بتقييد مولد أبنائهم كما هو حاصل اليوم.

أما عن وفيات هؤلاء الأعلام فقلما تجهل أو يختلف فيها ومرد ذلك إلى عناية كتب التراجم بزمن الوفاة أكثر من عنايتها بزمن الميلاد " ولكن عند البحث في حياة أبي

حيان، نلقى عشرين ، عسرا في تعرف مولده ، وعسرا في تعرف وفاته ، كأنما اتفق

¹ - ياقوت الحموي ، معجم الأدياء ، ج 15، ص 20

² - وتيكي كميلا . كتاب الإمتاع والمؤانسة بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة . ص 19

³ - محمد كرد علي . أمراء البيان . ص 441

الناس على إهماله ميتا كما أهملوه حيا ، وكأنما أبي حظه العاثر وحقه المهضوم إلا أن يلازمه في الممات كما لازماه في الحياة." ¹

4.1. وفاته:

إختلف الدارسون في تحديد زمن وفاته كما اختلفوا في تحديد زمن مولده وهو ما لم يحدث مع أي علم من الأعلام " وليس هذا بالخلاف الهين وإنما هو خلاف جسيم يرجع بوفاته إلى سنة 414هـ فأي خلاف ذلك الذي يفصل بين زمنين أكثر من نصف قرن؟" ²

ويذكر الشيرازي في كتابه المعروف بهزار مزار أن التوحيدى توفى سنة 414هـ ودفن بشيراز ، يقول أنه كان بين أبي حيان وبين شيخ الشيوخ أبي الحسين شيء فلما مات أبو حيان قال شيخ الشيوخ أبي الحسن رأيتة في المنام فقلت: ما فعل الله بك ، فقال غفر لي رغمك ، فلما أصبح أمر شيخ الشيوخ أصحابه فحمل في محفة إلى قبره ليصلي عليه ، فزاره وأمر بلوح كتب عليه : هذا قبر أبي حيان التوحيدى فوضع على قبره توفى سنة أربعة عشرة وأربعمائة ودفن في المقبرة المحاذية للشيخ ³.

¹ محمد عبد الغنى الشيخ ، أبو حيان التوحيدى رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب و النقد ج1، الدار العربية للكتاب ص

² - محمد عبد الغنى الشيخ ، أبو حيان التوحيدى رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب و النقد ج1، الدار العربية للكتاب ،

³ - إبراهيم الكيلاني ، أبو حيان التوحيدى ص35

وذكر آدم منز أن أبا حيان توفي سنة 400هـ¹ في حين كان محمد كرد علي مترددا في تحديد تاريخ وفاته فهو يذكر أنه "مات على رأس الخمسمائة أو بعد بقليل ، وقيل مات بشيراز سنة 414هـ"²

والأرجح أن أبا حيان توفي سنة 414هـ لأن آراء أغلب المؤرخين اتفقت حول هذا التاريخ ، وقد حاول بعضهم تقديم أدلة تؤكد زعمهم هذا من بينهم إبراهيم الكيلاني ، ومن بين أدلته :

- 1- نص " شد الإزار" من كتاب الشيرازي المعروف بهزار مزار.
- 2- وجود أبي سعد عبد الرحمان بن محجة الأصفهاني في شيراز سنة 400هـ ، وحضوره دروس أستاذه التوحيدي فيها كما يقول السبكي.
- 3- وجود أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف علي الشيرازي في شيراز وسماعه التوحيدي، وأبو إسحاق هذا كان قد ذهب إلى شيراز سنة 410هـ طلبا للعلم و عاد إلى بغداد سنة 414 هـ بعد وفاة التوحيدي³ .

وتبقى الفترة الممتدة بين سنة 400 هـ إلى تاريخ وفاته سنة 414هـ من حياة التوحيدي غامضة. فلا أحد يدري إن كان قد قضاها متنقلا من بلد إلى بلد يقف على الأبواب. أم كان متزويا يخالط الصوفية، أم رجع إلى شيراز حيث نوى الإقامة بقية حياته بعد أن أمضى طول حياته متنقلا بين العراق والحجاز و فارس و الجبل⁴ .

¹ محمد عبد الغني الشيخ ، أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب و النقد ج1، ص165

² _محمد كرد علي ، أمراء البيان ص 441

³ _ إبراهيم الكيلاني، أبو حيان التوحيدي ، ص35

⁴ _ المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

وبعد كل هذا ألا يحق لنا القول أن أبا حيان التوحيدي ولد تيعسا، وعاش تيعسا ومات تيعسا؛ ولد تيعسا لأنه لم يجد من يحفل به ويفرح لمولده ويهتم له فيذكر تاريخ ميلاده حتى استعصى على المؤرخين فيما بعد تحديده ، وعاش تيعسا وسط أسرة لم يجد بدا من الحديث عنها في مؤلفاته ، ومنعه الحياء من الخوض فيها ، فاكتفى بالصمت لأنه كان يعلم أنه ينحدر من أسرة فقيرة عديمة النسب والحسب فلم يجد بدا من الحديث عنها و الإشارة إليها و مات تيعسا لأنه لم يجد من يذكر تاريخ وفاته .

و لا يجد الباحث في مؤلفاته شيئا عن طفولته أو علاقته بأسرته ، أوصلاته بإخوته إن كان له إخوة وهذا ما حذا بأحد الباحثين إلى القول أن أبا حيان " فقد كل شيء في عهد مبكر، كما فقد الصديق و الصاحب و التابع و الرئيس في جاري سني عمره " ¹.

وقد أفنى حياته في التحصيل و طلب العلم علّه يجد فيهما تعويضا عن بعض ما فاته من نعم الحياة فصرفه ذلك عن التفكير في الزواج وتكوين أسرة وبعد فوات العمر لم يجد حوله " ولدا نجيبا ، و صديقا حبيبا، و صاحبا قريبا ، و تابعا أديبا و رئيسا منيبا " ².

وبذلك حرم الاستقرار فقضى معظم حياته في التنقل بين بغداد والري و نيسابور و كان دائما " قلق الركاب ، لا يكاد يستقر في مكان إلا و يزعجه أمر إلى ارتياد سواه " ³

و ربما ما دفعه أيضا للعزوف عن الزواج حالته المادية فقد عاش فقيرا معدما لا يملك من الدنيا شيئا و كان دخله 40 درهما في الشهر ⁴.

¹ - زكريا ابراهيم ، ابو حيان التوحيدي ، ص 17

² - المرجع نفسه ، الصفحة 11

³ - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

⁴ - أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و الموانسة ج 3 ص 227

2. مظاهر الحياة عصر التوحيدي:

1.2. الحياة السياسية:

عاش أبو حيان التوحيدي من سنة 310هـ إلى سنة 414هـ ، وأهم ما ميز هذه الفترة هو انحطاط الدولة العباسية في أواخر القرن الثالث للهجرة ، حيث انقسمت إلى دويلات صغيرة آل أمرها إلى جماعات من متغلي الأعاجم كالأتراك والفرس والديلم فجرد الخليفة العباسي من كل سلطة فعلية و أصبحت الخلافة الإسلامية ميدانا للأهوال و المآسي¹

عمت الفوضى وازدادت الفتن بسبب طغيان بني بويه الذين حكموا العراق و جنوبي فارس زهاء قرن ونصف ، فاستولوا على الخلافة وعزلوا الخلفاء وولوهم و رفعوا منار الشيعة و أحيوا معالمها وأضعفوا نفود الأتراك الخلافة العباسية لا تزال في بغداد و لما أفضت إمارة الأمراء إلى عضد الدولة لقب بالملك و هو أول من حوطف بهذا اللقب في الإسلام.

لقد حاول التوحيدي من خلال كتاب الإمتاع والمؤانسة تصوير التصدع السياسي و الإجتماعي الذي أصاب المجتمع ، فصور لنا ثورة الروم والمسلمين ، والصراع المذهبي، مما أدى إلى إنعدام الأمن و استباحة الدماء و النهب يقول " إلتبس الأمر على الصغار و الكبار و بمثل هذا فتحت البلاد وملك الحصون و أزيلت النعم ، وأريقتم الدماء، و هتكت المحارم وأبيدت الأمم ، ونعود بالله من غضب الله و مما قرب من سخط الله ، وإذا أراد الله أمرا كثر بواعثه و فرق نواقبه "(2)

¹ - ابراهيم الكيلاني ، أبو حيان التوحيدي ، ص 5

² - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ج3، ص 392

و لم يسلم التوحيدي مما جرى و يتضح ذلك من خلال رده على سؤال وجهه له الوزير " وكيف سلمت في هذه الحالات ؟ قلت ومتى سلمت؟ جاءت النهاية إلى بني السورين ، وشنوا الغارة و اكتسحوا ما وجدوا في متزلي من ذهب و ثياب و أثاث و ما كنت دخرته من تراث العمر و جردوا السكاكين على الجارية في الدار يطلابونها بالمال ، فاشقت مرارتها و دفنت في يومها"¹

كما حاول التوحيدي في مسامراته إصدار أحكام على حكام عصره مبينا علاقتهم بالبرعية والتي كان لها دور كبير في تقصي أحوال البلاد الإجتماعية و السياسية .
ومن بين الحكام الذين عاصرهم التوحيدي : الصاحب بن عباد و ابن العميد و ابن العارض و عز الدولة : يقول التوحيدي عن أحوال الناس أثناء ثورة الروم على المسلمين " فالناس قد صاحوا و ضحوا خلال هجوم الروم على المسلمين و استغلال العيارين الفرصة للعبث في البلاد و أنكروا على عز الدولة إخلاله بواجباته السياسية ، إذ إنه كان زمن الفتنة مشغولا في مدينة الكوفة لانهماكه في القصف و العزف و إعراضه عن المصالح الدينية والخيرات السياسية"² .

لقد كان عز الدولة سببا في فساد الأحوال يقول التوحيدي " وسارت الجماعة إلى الكوفة ، ولحقت عز الدولة في التصيد وانتظرته ، فلما عاد قامت في وجهه و استأذنت في الوصول إليه على خلوة و سكون بال و قلة شغل ، فلم يلتفت إليهم

¹ _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و الموانسة ج3، ص ص 397،399

² _ المصدر نفسه، ص392

و لاعلاج عليهم ، وكان وافر الحظ من سوء الأدب قليل التحاشي من أهل الفضل
و الحكمة "1 .

2.2. الحياة الاجتماعية و الاقتصادية:

لم تختلف الحياة الاجتماعية عن الحياة السياسية في أواخر القرن الثالث ، تفاقم الفساد
الإجتماعي و الإقتصادي، وتباعدت الهوة بين طبقات المجتمع ، فعكف البعض من
أصحاب المال والسلطة على البذخ في حين حرم عامة الشعب من أبسط حقوقهم ، وقد
صور لنا التوحيدي حال البؤس و الشقاء التي كان يعيشها بعض مفكري و أدباء عصره،
فقد كان أبو سليمان المنطقي السجستاني " بحاجة ماسة إلى رغيغ ، و حوله و قوته
عجزا عن أجره مسكنه و وجبة غدائه و عشائه "2

و كان أبو سعيد السيرافي عالما و شيخا ملاً الدنيا وأقنع أهل الأرض ينسخ في اليوم عشر
ورقات بعشر دراهم ليعيش ، وكان الفيلسوف يحي بن عدي يكتب في اليوم و الليلة مائة
ورقة و أكثر ، وكان المعافي بن زكريا النهرواني ذا أنسة بسائر العلوم ، شاهده تلميذه
التوحيدي في جامع الرصافة وقد نام مستديرا الشمس في يوم شات و به من أثر الفقر
و البؤس أمر عظيم ، مع غزارة علمه و اتساع أدبه و فضله المشهور (3) .

لقد دفعت هذه الأحوال المزرية بالأدباء إلى قصور الخلفاء طلبا للرزق ، فغلب على
الأدب التكلف و المبالغة المنافية للذوق و العقل ، فنجد التوحيدي يخاطب أبا الوفاء
مستعظفا معتذرا بقوله " أنا سامع مطيع و خادم شكور مثلك يعفو و يصفح ، و أنت

1 _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و الموانسة ج2ص294

2 - المصدر نفسه ، ج 1، ص 130

3 - ابراهيم الكيلاني ، أبو حيان التوحيدي، ص ص10، 1

مولي وأنا عبد ، وأنت أمر وأنا مؤتمر ، أنا أدعك واجدا علي ؟ و أرقد وأنت ماقت لي ؟ وأجد حس نعمة أنت وهبتها إلي؟ وألذ عيشا أنت أذقتني حلاوته ؟ أنسى أياديك وهي طوق رقبتني وتاج عيني و حشو نفسي وراحة حلمي ، وزاد حياتي و مادة روحي ؟ " (1) .

أو كما كتب لابن العميد مستعظفا " أصلح أديمي فقد حلم ، وجدد شبابي فقد هرم و أنطق لساني في اصطناعي ، فقد شردت صحائف النجاح عند انتجاعي ، ورش عظمي فقد براه الزمان وأكس جلدي فقد عراه الحدثان " 2 .

يظهر أبو حيان في مواضع كثيرة من الإمتاع و المؤانسة شاكيا من الفقر المعدم ، متوسلا إلى صديقه أبي الوفاء المهندس ، مبديا استعداده إلى أن يبيع قلمه و لسانه حتى يخرج من ضيق العيش يقول في رسالته إلى أبي الوفاء المهندس " خلصني أيها الرجل من التكفف ، أنقديني من لبس الفقر ، أطلقني من قيد الضر ، اشترني بالإحسان ، اعتبديني بالشكر ، استعمل لساني بفنون المدح ، اكفني مؤونة الغداء و العشاء إلى متى هذه الكسيرة اليابسة ، و البقيلة الداوية ، و القميص المرقع ، و باقي درب الصاحب وستاب درب الرواسين " 3

لقد فشل التوحيدي في الاندماج و الإلتواء إلى الحياة التي تضمن له العيش بالوسائل و الطرق التي كان يحسنها الآخرون بسبب قلة ذكائه الاجتماعي ، فلم يجد إلا الوراقة

1 _ أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة ج 1 ، ص 11

2 _ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

3 - المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 226

مهنة لم تكفه ذل السؤال ، يقول لأبي الوفاء المهندس " قد أذلني السفر من بلد إلى بلد،
وخذلني الوقوف على باب الباب و تركني العارف بي و تباعد عني القريب مني "1.
و إذا كان الأدباء قد قصدوا الخلفاء لطلب الرزق ، فإن طبقات أخرى من المجتمع
تكالبت على جمع المال ، وقد حاول التوحيدي من خلال كتابه تسليط الضوء عليها
بقوله " و أما الداركي فقد إتخذ الشهادة مكسبة ، وهو يأكل الدنيا ويغلب عليه
اللواط ، ولا يرجع ثقة و أمانة ، و لقد هتكت بنيسابور قديما ، وبيغداد حديثا ، هذا
مع الندامة و الوخامة ، و لقد ناد بجعل غلام ، و هو اليوم قاضي الري و ابن عباد
يكنفه و يقربه ليكون داعية له ، و نائبا عنه ، وليس وهو اليوم قارون وقد علت
رتبته في الكلام حتى لا مزيد عليها ، إلا انه مع ذلك نقل الباطن خبيث الخبث ،
قليل اليقين "2.

3. إتصاله بالوزراء :

حاول أبو حيان التوحيدي مرارا الخروج من ضائقته المالية فاتصل بالوزراء و الأمراء
عله يجد عندهم ما يقيه ذل السؤال و شظف العيش .

أ. إتصاله بالمهلي :

إتصل أبو حيان بوزير معز الدولة أبي محمد الحسن بن محمد المهلي (211-352)
وقد كان للمهلي شخصية قوية أدت دورا مهما في العصر البويهى ، كما كان " حسن
الأنباء عن نفسه ، فصيحاً ، مهيباً ، سخياً شجاعاً لا يتحرك من نواب الدهر ، أدبيا

1 _ أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ج1، ص16

2 _ المصدر نفسه ، ج1 ، ص 103

يفصأ بالفارسية ،فؤلاقى أكؤر ما درس من رسوم الكؤابة و اسؤدرؤ كثيرا من العمارات ، وأؤار وؤوه الأموال من مواضعها فحسؤت آؤارها "¹ .

عرف بؤبه لأهل العلم و الأؤب و عطفه على الكؤاب و الأؤباء " فأحيا ما كان درس و مات من ذكرهم و نوه ، و رغب الناس بذلك في معاوؤة ما أهمل منها"²

و ربما هذا ما ءفع أبو حيان للؤقرب منه ، والظاهر أن أبا حيان لم يطل به الأؤمء في كؤف المهلبى ، لأنه ءاهر بأرائه الؤى لم ءرقه ولم يرض عنه لأنه لم يكن مئساعحا مع أصحاب العقائء و الؤءل و البءع " ...ونفاه المهلبى المؤوفى عام 352هـ (963م) من بعءاء ، و كان يعيى فىها من الكؤابة، لؤنءقؤه فى آرائه الؤى أورءها فى مصنفاء له فقءء الآن"³

و الراجأ أن سبب اقمام أبا حيان بسوء العقيدة والزئءقة و الانألال هو ءأليفه لكؤاب " الحج العقلى إء ضاق الفضاء عن الحج الشرعى" الذى يئضمئ آراء منافية لقواعد الإسلام.

ب. إءصاله بابن العميء:

لم ينل الؤوؤي ما كان يصبو إليه من المهلبى فرأل إلى الري ، أملا فى ءعويض ما فاءه و ائؤه إلى ابن العميء عله يأظى بالؤروة والؤاه ، وؤء كان لابن العميء شأن كبير و عرف بؤرمه و سؤائه ، فقصءه الشعراء و مءءحه النقاء لفصاحؤه و بلاؤؤه ، يقول ابن مسكويه " أوئى من الفضائل و الؤاسن ما بهر به أهل زمانه ، حتى أءعن له العءو ،

¹ - ابراهيم الكيلاى ، أبو حيان الؤوؤي ، ص 12

² - المراجع نفسه الصفة نفسها

³ - زؤريا ابراهيم أبو حيان الؤوؤي ، ص 31

و سلم الحسود ، ولم يزاحمه أحد في المعاني التي اجتمعت لهفمن ذلك أنه كان أكتب أهل عصره... وكذلك شعره الذي جد فيه وهزل، فإنه في أعلى درجات الشعر وأرفع منازلته..."¹

قصد التوحيدي ابن العميد أملا أن يخرج من ضائقته المالية ، إلا أنه خرج صفر اليدين ، ولم ينل إلا الذل و الهوان ، و قد أرجع البعض سبب سوء العلاقة بين الرجلين إلى أن أبا حيان " لم يكن يتمتع بقدر كبير من اللباقة في معاملة الرؤساء و الوزراء فضلا عن أنه كان معتدا بنفسه إلى الحد الذي كان يجرح شعور أصحاب السلطة من ذوي الجاه و الأبهة"².

ولعل ابن العميد قد آله اعتداد التوحيدي بنفسه ، واستطالته عليه فاحتقره وازدرأه، وما كان من أبي حيان إلا أن رد له الجميل فألف فيه كتابا حاول من خلاله الانتقاص من وزنه و الانتقاص من قدره.

ج. إتصاله بالصاحب بن عباد:

كانت خيبة أمل أبي حيان في ابن العميد كبيرة وهذا ما حمله على الرحيل و الاتصال بالصاحب بن عباد أملا منه أن يجد عنده ما لم يجده عند ابن العميد.

كان ابن العميد يتمتع بشهرة عمت أنحاء العالم الإسلامي، وترقى به الحال حتى تولى الوزارة لمؤيد الدولة أبي منصور بويه ، وهو أول من لقب بالصاحب لأنه كان يصحب ابن العميد، وهذا ما دفع بالتوحيدي إلى أن يقصده " بأمل فسيح و صدر رحيب"³ ،

¹ - ابراهيم الكيلاني ، ابو حيان التوحيدي ، ص 20

² - زكريا ابراهيم ، أبو حيان التوحيدي، ص 31

³ - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 15، ص 29

فطلب منه الصاحب أن ينسخ له الكتب ، فرفض التوحيدى طلبه هذا لأنه كان يريد التخلص من حرفة الشؤم التي فيها ذهاب البصر .

وكعادته رحل التوحيدى تاركا الري ناقما ، وعاد إلى بغداد سنة 370هـ — " عاتبا على ابن عباد ، مغيظا منه ، مقروح الكبد لما ناله من الحرمان المر والصد القبيح ، واللقاء الكريه ، والجفاء الفاحش ، والقدع المؤلم ، والمعاملة السيئة والتغافل عن الثواب ، وحبس الأجرة على النسخ و الوراقة ، والتجهم المتوالي عند كل لفظة ولحظة " ¹

ومهما يكن من شيء فقد انتهت العلاقة بين الرجلين، إذ فارق التوحيدى الصاحب بعد ثلاث سنوات قضاها عنده لم ينل خلالها درهما على الرغم من كل ما نسخه له ، وأرجع سبب هجاءه له إلى ما جرعه إياه من مرارة الخيبة " مع الخدمة الطويلة و الوعد المتصل و الظن الحسن حتى كأني خصصت بخساسته وحدي ، أو وجب أن أعامل بها دون غيري ، قدّم إلي نجاح الخادم وكان ينظر خزانة كتبه ثلاثين مجلدة من رسائله وقال ك انسخ هذا فإنه قد طلب منه بخراسان : فقلت بعد ارتيائه هذا طويل ، ولكن لو أذن لي لخرجت منه فقرا كالغور وشذورا كالدرر ، تدور في المجالس كالشمامات و الدستنبيهاث " ².

ثم أردف قائلا وقلبه مليء بالحسرة على حاله " وما ذنبى يا قوم إذا لم أستطع أن أنسخ ثلاثين مجلدة من هذا الذي يستحسن هذا الكلب ، حتى أعذره في لومي على الامتناع ، أينسخ إنسان هذا القدر وهو يرجو بعدها أن يمنه الله ببصره ، أو ينفعه ببدنه ؟ ثم ماذنبى إذا قال لي من أين لك هذا الكلام المفوف، المشوف الذي تكتب

¹ — أبو حيان التوحيدى، الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص11

² — ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج15، ص34

إلي به في الوقت بعد الوقت؟ فقلت وكيف لا يكون كما وصف مولانا و أنا أقطف من ثمار رسائله ، واستقي من قلب علمه و أشيم بارقة أدبه"¹.

والواضح أن أبا حيان كان معتدا بنفسه ، عارفا بقدره ، وكان يرى في ابن عباد شخصا " شديد الحسد لمن أحسن القول و أجاد اللفظ"²

وقد أرجح إبراهيم الكيلاني إخفاق التوحيد في علاقته مع ابن عباد إلى عدة أسباب أهمها:

1 -مدح التوحيد لابن العميد عدو الصاحب، حتى صار الناس يعذلون على ذلك قائلين "جنيت على نفسك حين ذكرت عدوه عنده بخير، و أثبت عليه وجعلته سيد الناس"³.

2 - إختلاف نفسية الرجلين : كان التوحيد شديد الحسد و البغض لذوي الجاه والنعمة مجبولا على الغرام بثلب الكرام حتى عرف بهذه الخصلة الذميمة وشهر بها ؛ أما ابن عباد فكان شديد الحسد لمن أحسن القول و أجاد اللفظ ، وكان التوحيد بحكم صناعته حريصا على إظهار تفوقه وتمكنه من أساليب البيان فكان الصدام مع الصاحب أمرا محتوما.

3 - مهنة الوراق و هي التي يدعوها التوحيد حرفة الشؤم وبسبها رحل إلى الري تاركا بغداد هربا من مهنة فيها ذهاب العمر والبصر.

¹ _ ياقوت الحموي ،معجم الأدياء ،ج15، ص35

² - إبراهيم الكيلاني ،أبو حيان التوحيدي ص24

³ _ المصدر السابق ،ج15، ص43

4 -تباين الثقافتين : كان التوحيدي يتفلسف على طريقة المعتزلة ميالا إلى الجدل و الأبحاث العقلية بخلاف الصاحب الذي كان " يجب العلوم الشرعية ويغض الفلسفة وما يشابهها من علوم الكلام والآراء البدعية. ولا ريب أن اختلاف الترعين كان يؤجج العداوة بين الرجلين ويجعل سبيلا إلى توسيع شقة الخلاف و الحقد والكراهية.¹

د. إتصالة بابن العارض:

هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان المعروف بابن العارض وزير صمصام الدولة البويهية تولى الوزارة سنة 373هـ و قتل سنة 375هـ بسبب مكيدة من خصمه أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف .

سامره أبو حيان التوحيدي في كتاب الإمتاع و المؤانسة وقد رجح أحمد أمين أن الوزير ابن العارض الذي سامره التوحيدي " هو الوزير أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان وزير صمصام الدولة البويهية ، وقد ورد اسمه هكذا في كل ما راجعت من كتب التاريخ أمثال : (تجارب والأمم) و ذيله (وابن الأثير) و لم يلقبه أحد منهم (بالعارض) ، وكلمة (العارض) كما في كتاب (النساب للسمعاني)معناه: من يعرف العسكر ويحفظ أرزاقهم ، و يوصلها إليهم ويعرضهم على الملك إذا أحتيج إلى ذلك"²

و يضيف أحمد أمين أن الوزير ابن العارض لقب بهذا اللقب إما لأنه تولى هذا العمل قبل أن يتولى الوزارة، أو كان هذا لقباً لأسرته³ .

¹ _ إبراهيم الكيلاني ،أبو حيان التوحيدي ص ص 23، 24

² - أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة ، مقدمة احمد أمين ص هـ

³ _ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

و أخيرا ابتسم الحظ لأبي حيان في علاقته بالوزراء، الوزير ابن العارض و ندمائه كأبي الوفاء المهندس، وقد كان أبو الوفاء من كبار علماء زمانه ، أسدى لصديقه أبي حيان جميلا بأن جعله في جملة خدم البيمارستان ، ثم وصله بالوزير ابن العارض ، و كان ابن العارض كريما محبا للأدب شغوفاً بالعلم أحاط نفسه بجماعة من الأدباء والمفكرين .
وجرت للتوحيدي مع ابن العارض أحاديث أدبية و فلسفية وعلمية ألف منها مادة كتابه المشهور الإمتاع و المؤانسة، وقد أهدها إلى صديقه أبو الوفاء اعترافاً بفضله و جميل صنيعه.

لم ينعم التوحيدي طويلاً بحياته عند ابن العارض لأن سوء الحظ مازال يلاحقه حتى النهاية، فقد بقي ابن سعدان في الوزارة مدة قصيرة إذ ظهر له خصم لدود و هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الذي ظل يكيد له وينصب الشباك للإيقاع به ، حتى قبض عليه وأصحابه وأودع السجن ، ثم أدخل في روع صمصام الدولة أن ابن سعدان يؤلب الثوار عليه ، فأمر بقتله و التنكيل بأعوانه و كان ذلك في نهاية 375هـ .

و الظاهر أن أبا حيان خشي على نفسه لأنه كان من رجالات ابن سعدان ، فأثر الاختفاء عن أعين رجال ابن يوسف و هرب إلى شيراز ، حيث راح يتردد على المتصوفة ويعيش معهم في فقر مدقع.

4. بيئته الثقافية:

عاش التوحيدي في القرن الرابع الهجري وقد اتسمت هذه الفترة بانحطاط سياسي، وازدهار ثقافي وعلمي كبير، وفي ظل هذا الضعف السياسي عكف الأمراء على تشجيع العلماء و العطف عليهم فنبع الكثير من الأدباء و الفلاسفة والفقهاء و المحدثين و أصحاب المذاهب " و أصبحت مدن كثيرة في العراق و فارس مراكز للحركات

العلمية كبغداد و البصرة و الكوفة في العراق، والري و أصفهان وشيراز وسيراف في فارس¹

و بالرغم من تفكك عرى الخلافة وتجزئها إلى دول شتى ، فإن النشاط العلمي ظل على ازدهاره إذ شارك عاصمة الخلافة العباسية عدد من الحواضر التي كانت تتنافس في تنشيط العلم والأدب على العلماء و الأدباء² .

ومما ساعد على تغلغل الثقافة العربية في مجتمع بغداد تحول المساجد إلى أماكن لطلب العلم، ومن أهم ما عمل على إشعال الجذوة العلمية و إمدادها بوقود لا ينفد ، مناظرات العلماء في المساجد و قصور الخلفاء و الوزراء في الكلام و الفقه والنحو وغير ذلك من العلوم التي كان يشتد فيها الخلاف والجدل .

بالإضافة إلى وجود مكتبات عامة حوت الكثير من المصنفات ، مع كثرة الوراقين ودكاكين التجار يقصدها الشباب و العلماء لا لشراء المؤلفات فحسب ، بل ليطالعوا وينهلوا من مصنفاتها ، وكانوا يكترونها لذلك ويبيتون فيها وينسخون ما شاءوا من الأذكار و الرسائل³ .

و من المؤكد أن أبا حيان قد زار المكتبات العامة مرارا و اقتنى من معارفها بحيث كانت رافدا مهما من روافد ثقافته الموسوعية ، كما كان لحرفة الوراقة التي امتهنها دور كبير في اتساع ثقافته بسبب اطلاعه على ثقافات الأمم المختلفة.

¹ -ابراهيم الكيلاني، أبو حيان التوحيدي، ص1

² - أنيس المقدسي، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ص 199

³ - شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ط9 دار المعارف ص 119

5. مهنة التوحيدى:

عاش التوحيدى مدة طويلة منعزلا ، عانى خلالها آلام البؤس و الحرمان إلا أنه تميز بسعة علمه وثقافته ، حتى إننا لا نكاد نجد له نظيرا من مفكرى عصره وقد وصفه ياقوت بأنه " شيخ فى الصوفية ، وفيلسوف الفلاسفة ، ومحقق أهل الكلام ومتكلم المحققين، فرد الدنيا الذى لا نظير له ذكاء و فطنة و فصاحة ومكنة كثير التحصيل للعلوم ، فى كل فن حفظه واسع الدراية والرواية"¹ ، و لم تشفع له ثقافته و علمه الواسع فى إيجاد مهنة تقيه ذل السؤال فلم يجد إلا حرفة الوراقة يسترزق منها، والظاهر أن الكثير من الأدباء و الفلاسفة فى القرن الرابع الهجرى وجدوا أنفسهم مضطرين إلى ممارسة هذه المهنة طلبا للرزق ، فنجد أبا سعيد السيرافى ، و ابن النديم ، ويحيى بن عدى كانوا يشتغلون بتصحيح الكتب ونسخها ، إلا أن أبا حيان كان يشتغل هذه الحرفة على مضض وكان يأمل دوما فى الحصول على مركز اجتماعى يناسب مستواه العلمى ونجده يشتكى قلة الحظ بسبب حرفة الشؤم هذه فىقول " استولى على الحرف ، وتمكن منى نكد الزمان إلى الحد الذى لا استرزق مع صحة نقلى وتقييد خطى وتزويق نسخى وسلامته من التصحيف و التحريف بمثل ما يسترزق البليد الذى ينسخ"².

كان التوحيدى دائم السخط على هذه المهنة التى كان يرى فيها مهنة الشؤم التى فيها ضياع العمر لقلة مردودها ، وقد دفع به الفقر إلى التقرب من أصحاب الجاه والسلطان رغبة منه فى الخروج من ضائقته المالية ونيل الحظوة لدى الوزراء ، فاتصل بابن العميد

¹ - ياقوت الحموى، معجم الأدباء، ص 5، 6

² _ المصدر نفسه، ص 13

الصاحب بن عباد من وزراء آل بويه في الشرق إلا أنه لم ينل ما كان يصبو إليه ووجد و نفسه يمارس حرفة الشؤم من جديد ، يقول متحصرا " قصدت ابن عباد بأمل فسيح و صدر رحيب فقدم إلي رسائله في ثلاثين مجلدة ، فقلت نسخ مثله يأتي علي العمر والبصر"¹.

ضاق صدر أبي حيان من معاملة الصاحب ابن عباد ففارق بابه سنة سبعين و ثلاثمائة راجعا إلى مدينة السلام بغير زاد ولا راحلة و لم ينل منه مدة ثلاث سنين درهما واحدا و بعد هذا وجد من يلومه علي مفارقتة للصاحب بن عباد فرد قائلا "... وما ذنبي يا قوم إذا لم استطع أن أنسخ ثلاثين مجلدة من هذا الذي يستحسن هذا الكلب ؟ حتى أعذره في لومي علي الامتناع علي أينسخ إنسان هذا القدر"².

رحل التوحيدي عن الصاحب بعد أن خاف علي بصره من نسخ تلك الرسائل الطوال ، وما كان منه إلا أن ألف كتاب " مثالب الوزيرين" تحدث فيه عن ابن عباد وعن أخلاقه و عيوبه وما لاقاه من سوء المعاملة طوال السنوات الطوال التي قضاه في قصره يقول أبو حيان " وما ذنبي أكرمك الله إذا سألت عنه مشايخ الوقت و أعلام العصر فوصفوه بما جمعت لك في هذا المكان علي أني قد سترت شيئا كثيرا من مخازيه إما هربا من الإطالة ، أو صيانة للقلم عن رسم الفواحش و بث الفضائح وذكرها يسمح مسموعه، ويكره التحدث به، هذا سوى ما فإني من حديثه فإني فارقتة سنة سبعين وثلاثمائة"³.

¹ - ياقوت الحموي، معجم الأدياء، ج15، ص 32

² - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و الموانسة، ج 1 ص33

³ - المصدر نفسه ، ج1، ص 5

وإذا كان التوحيدي يرى في مهنة الوراقة حرفة الشؤم التي نغصت عليه مزاجه و عكرت صفو حياته، إلا أنها كانت مصدرا هاما من مصادر ثقافته، كما أنها كانت وسيلة للمشاركة في الناظرات التي كانت تقام خلال القرن الرابع الهجري.

لقد ساهمت هذه المهنة في تكوين شخصية أبي حيان فأصبح ذا فكر متحرر و عقل متفتح على جميع المذاهب بغض النظر إذا كانت موافقة أو مخالفة لآرائه مما ساعد على تنمية موهبة الجمع التي تميز بها حيث حوت مؤلفاته على معظم مما ساعد على تنمية موهبة الجمع التي تميز بها حيث حوت مؤلفاته على معظم معارف عصره من علم المنطق و النحو والفلسفة.....إلخ.

6. أساتذته:

1.6. أبو سليمان السجستاني:

هو أبو سليمان محمد بن طاهر بهرام السجستاني فيلسوف و منطقي ولغوي وصاحب أفكار عميقة في الأدب والنثر ، وصفه أبو حيان بقوله " أما شيخنا أبو سليمان فإنه أدقهم نظرا و أصفاهم فكرا و أظفرهم بالدرر ، وأوقفهم على الغرر، مع تقطع في العبارة ، ولكنة ناشئة من العجمة ، وقلة نظر في الكتب وفرط استبداد بالخاطر، وحسن استنباط للعويص وجرأة على تفسير الرمز ، وبخل بما عنده من هذا الكثر" ¹ كان منزله مكانا لعرض الندوات الثقافية و الحلقات الفكرية، وقد شهد أبو حيان هذه الحلقات وسجل معظم ما يدور فيها واشترك مع غيره من طالبي المعرفة في مناقشة أساتذهم ، وقد كان يقصد طلاب العلم من كل أنحاء الدنيا ، قال عنه أبو حيان " غزير البحر واسع الصدر ، لا يغلق عليه في الأمور الروحانية و الأنباء الإلهية و الأسرار

¹ - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و الموانسة ، ج1، ص33

الغيبية ، وهو طويل الفكرة ، كثير الوحدة ، وقد أوتي مزاجا حسن الاعتدال
و خاطرأ بعيد المنال ولسانا فسيح المجال..¹

وقد استفاد أبو حيان كثيرا من ملازمته لأبي سليمان حتى أنه ألف كتاب المقابسات
الذي طوى أحاديث فلسفية ومناقشات جدل لأبي سليمان وتلاميذه.

2.6. أبو زكريا يحيى بن عدي :

هو أستاذ أبو سليمان توفي سنة 364 هـ انتهت إليه "رياسة أهل المنطق في
زمانه"² ، كان كثير النسخ للكتب ميالا للجدل يعتمد على المنطق في إثبات الحقائق
و العقائد ، قام بترجمة كتب أرسطو من السريالية إلى العربية إلى بالإضافة إلى تلخيص
مؤلفات أستاذه أبي نصر الفرابي والتعليق عليها، وألف مصنفات عديدة في كثير من
العلوم والفنون وقد وصفه أبو حيان "أما يحيى بن عدي فإنه كان شيخا لين العريكة ،
فزوقة ، (أي شديد الفزع) مشوه الترجمة ، رديء العبارة ، لكنه كان متأنيا في تخريج
المسائل المختلفة وقد برع في مجلسه أكثر من الجماعة، ولم يكن يلوذ بالإلهيات بل
كان ينبهر فيها ، ويضل في بساطتها ، ويستعجم عليه ما حل فضلا عما دق منها
وكان مبارك المجلس"³ .

وقد كانت استفادة أبي حيان من أستاذه أبي سليمان أكثر من استفادته من يحيى بن عدي

¹ - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة، ج2، ص 175

² - زكريا إبراهيم ، أبو حيان التوحيدي ، ص 24

³ - المصدر السابق، ج1، ص37

3.6. أبو سعيد السيرافي:

كان من كبار النحاة المتكلمين المعتزلة في القرن 4هـ، أخذ عنه أبو حيان النحو والكلام وغيرها من العلوم ن وصفه التوحيدي فقال " شيخ الشيوخ، إمام الأئمة، معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي و القرآن والفرائض والحديث والكلام و الحساب والهندسة ، أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة ، فما وجد له خطأ ن ولا عشر منه على زلة ، وقضى ببغداد و شرح كتاب سيبويه في ثلاث آلاف ورقة بخطه في السليماني ، فما جراه فيه أحد، ولا سبقه إلى إتمامه إنسان هذا مع الثقة في الديانة و الأمانة في الرواية ، صام أربعين سنة و أكثر الدهر كله" ¹

وقد فاضل التوحيدي بين أبي سعيد السيرافي و متي بن يونس القناني فقال في الليلة الثامنة من الإمتاع والمؤانسة إن "أبا سعيد كان أجمع لشمل العلم ، وانظم لمذاهب العرب ، وأدخل في كل باب ، واخرج من كل طريق و ألزم للجادة الوسطى في الدين والخلق ، وأروى في الحديث ، وأقضى في الأحكام ، وافقه في الفتوى ، و أحضر بركة على المختلفة و أظهر أثرا في المقتبسة" ² .

أخذ أبو حيان عن إستاده علوم النحو و الشريعة و الكلام و الفقه ، بالإضافة إلى ذلك فقد اكتسب منه صفات التقشف والتوكل والتصوف.

¹ - ياقوت الحموي معجم الأدباء ج9، ص 150

² - أبو حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص 121

4.6. علي بن عيسى الرماني:

تتلذ أبو حيان على يدي علي بن عيسى الرماني وتخرج على يديه في علم الكلام كما أخذ عنه الكثير من الدروس النحوية والمنطقية، ولم يكن علي بن عيسى مجرد عالم نحو، وإنما كان أحد مشاهير الأئمة في مختلف العلوم بالإضافة إلى كونه متكلماً على طريقة أهل العدل والتوحيد، وقد أعرب التوحيدي عن إعجابه وتقديره لأستاذه منه ببعض أفضاله عليه، يقول أبو حيان "..... وأما علي بن عيسى فعالي الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق، و عيب به إلا أنه لم يسلك طريقاً واضح المنطق بل أفرد صناعة وأظهر براعة وقد عمل في القرآن كتاباً نفيساً، هذا مع الدين الثخين والعقل الرزين"¹.

5.6. أبو حامد أحمد بن بشر المروودي (ت 362 هـ):

تلقى أبو حيان أصول الفقه الشافعي عن أستاذه أبو حامد المروودي كما أخذ عنه الكثير من المعارف في مختلف أنواع الفنون والآداب قال عنه أبو حيان أنه بشأن الشريعة أعلم ولأعاجيبها أحفظ، وفيما أشكل منها أفقه وقد كان شديد الإعجاب بسعة اطلاعه وتبحره في أصول الشريعة.

و يضيف أبو حيان قائلاً " كان القاضي أبو حامد شديد الإزوارار عن الكلام والثقة في أهله، وإنما أولع بذكر ما يقوله هذا الرجل لأنه أنبل من رأيته في عمري، وكان بحراً يتدفق حفظاً للسير، وقياماً بالأخبار، واستنباطاً للمعاني، وثباتاً على الجدل وصبراً

¹ - أبو حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة، ج1، ص19

في ال ءصام؁ فكان يزع م أن السير بحر الفءيا وءزانة القضا ؁ وعلى قدر اءلاع الفقيه عليها يكون اسءنباؤه ¹.

وقد كان أبو حيان كءير الملازمة لأسءاذه ينقل عنه و يروي أءباراه وينسب إليه الكءير من الآراء القيمة في الأخلاق و أصول المعاملات وهذا ما حدا ببعض الباءءين إلى القول أن رواية أن السقية الءي نسبها أبو حيان إلى أبي حامد كانت من تأليفه هو.

7. مؤلفاءه:

عمر ال ءوحي دي طويلا وقضى جل حياته مءبا للبعء و الءدل حريصا على النقل و الرواية؁ فءاء إنءاجه عزي را وءنوعت موضوعاؤه بين الفلسفة و الأدب بل قد امءءء أيضا إلى الكلام والفقه و الشريعة و الءصوف و النحو واللغة.

ولكن حاءءه إءراقه لكءبه في أواءر أيامه قد حااء دون وصول الكءير من مصنفاءه؁ وقد أورد ياقوء في معجمه ءبءا بأسماء بعض كءب ال ءوحي دي فنص على 17 كءابا:

رسالة الصديق و الصءاق ؁ كءاب الرء على ابن ءني في شعر المءءبي؁ كءاب الإماء و المءانسة؁ كءاب الإءارات الإلهية؁ كءاب الزلفة؁ كءاب المقابسة؁ كءاب العارفين؁

كءاب ءقريص الءاظم؁ كءاب دم الوزيرين؁ كءاب الءع العقلي إءا ضاق الفضا ء

عن الءع الشرعي؁ كءاب الرسالة في صلاء الفقهاء في المناظر ؁ كءاب الرسالة

البءاءية؁ كءاب الرسالة البءاءية؁ كءاب الرسالة الصوفية؁ كءاب الرسالة في

الءين إلى الأوطان؁ كءاب البصائر؁ كءاب المءاضراء و المناظر².

¹ - زكربا إبراهيم؁ أبو حيان ال ءوحي دي؁ ص 33

² - ياقوء الءموي؁ معجم الأءباء ء 15؁ ص 15

إلى جانب كلب أخرى لم يذكرها ياقول في حين أشار إليها الالوحيدي نفسه في ثنايا كلبه مثل كلاب النوار ، كلاب الكلام في الكلام ، بالإضافة إلى كلب أخرى نشرت منها الهوامل والشوامل ، رسالة في العلوم ، كلاب رسالة في علم الكتابة ، رسالة الإمامة . وقد تنوعت موضوعات الالوحيدي بين أدب وفلسفة وابل وقد عمد البعض إلى تصنيف هذه المؤلفات بحسب موضوعاتها في حين رأى البعض اسلبعاد مثل هذا الالوحيدي لأنه يرى أن كلاب الالوحيدي تضمنت مواضيع في الفلسفة والفكر و الأدب والفن وقد يكون من الإلحاب وضع تصنيف لها .

1.7 . الصداقة والصديق :

هو أول كلاب نشر من كلاب أبي حيان الالوحيدي سنة 1301هـ ، جمع فيه معظم ما كلاب عن الصداقة والصديق شعرا ونثرا لا عند العرب في الجاهلية والإسلام فحسب بل وعند اليونان و الفرس وغيرهم من شعوب العجم أيضا وقد كلاب الالوحيدي هذا كلاب في مرحلة متأخرة من حياته سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة ، ويذكر أن سبب كتابة رسالة الصداقة والصديق أنه ذكر شيئا منها لزيد بن رفاعة أبي الخير فنقله إلى ابن سعدان ، فقال له ابن سعدان " دون هذا الكلام وصله بصلاته مما يصح عندك لمن تقدم ، فإن حديث الصديق حلو ووصف الصاحب المساعد مطرب فجمعت ما في هذه الرسالة ، وشغل (ابن سعدان) عن رد القول فيها ، و أبطأت أنا عن تحريرها إلى أن كان من أمره ما كان ، فلما مر على ذلك بضع سنين عثرت على المسودة وبيضتها " ¹ .

¹ - ذكريا إبراهيم ، أبو حيان الالوحيدي ، ص 91

أما رسالة العلوم فهي عبارة عن بحث صغير حوالي تسع صفحات ألفه التوحيدى للرد على القائلين بأنه " ليس للمنطق مدخل فى الفقه لا للفلسفة اتصال بالدين ولا للحكمة تأثير فى الأحكام"¹.

2.7. كتاب المقابسات² :

طبع بمدينة بمباى طبعتين حجرتين سنة 1305هـ و 1306هـ على يد ميرزا محمد شيرازى ، كما توجد نسخة خطية من هذا الكتاب بجامعة لندن . و فى المكتبة الخالدية بالقدس مخطوطة كاملة للمقابسات يرجع أنفا من القرن السادس الهجرى كما توجد قطعة نفيسة منه فى دار الكتب الظاهرية بدمشق يرجح أنفا من عصر المؤلف.

تولى حسن السندوبى تحقيق الكتاب ونشره بمصر سنة 1121، ويحتوى الكتاب على 106 مقابسة (محاوره بين العلماء) متفاوتة من حيث الطول وهي عبارة عن مجموعة محاضرات سريعة متقطعة تدور بين مجموعة من العلماء تجتمع غالبا حول أبى سليمان المنطقى وكانت هذه المجالس تضم جماعات من مختلف الأجناس والمشارب والعقائد والملل و النحل من فلاسفة وأطباء ، ورياضيين ،فلكيين ، ومؤرخين وشعراء و أدباء و أرباب الجدل و كان غرض التوحيدى من هذه المقابسات تصنيف أشياء من الفلسفة، هذه الأشياء تضم موضوعات فلسفية كقضايا النفس والعقل و الزمان والمكان و العالمين العلوى والسفلى ، والخلفية و الميعاد والمادة والجوهر،وعلاقة النحو والمنطق ومواضيع خلقية كتهريب النفس ، و الفضيلة والرذيلة ، والصدقة والصديق ومواضيع أدبية

¹ _ زكريا إبراهيم، أبو حيان التوحيدى ، ص 13

² _ أبو حيان التوحيدى، المقابسات ، حققه وقدمه محمد توفيق حسن ط2، دار الآداب بيروت _ بغداد 1191

كالمقارنة بين الشعر والنثر... إلخ من المواضيع المختلفة¹.
وقد أورد التوحيد في كتابه هذا آراء نسبها إلى أستاذه أبي سليمان المنطقي ، وإلى مفكرين آخرين أمثال أبوزكريا الصيمري نو الخوارزمي ويحي بن عدي وغيرهم وقد رأى البعض أن التوحيد قد صاغ هذه الآراء بأسلوبه الخاص وربما قد أضاف إليها بعض آراءه الخاصة².

وقد رأى بعض المستشرقين منهم ما يرهوف ، أنه ليس لهذه المحاورات قيمة كبيرة ولكن المهم فيها هو الوسط الفني الذي يدخلنا أبو حيان فيه وقد ذهب زكريا إبراهيم في تعقيبه على هذا الرأي إلى القول أن صياغة هذه المحاورات في قالب أدبي " لا تنقص من قيمتها العلمية، بل هي تدلنا على أن التوحيد كان واحد من أولئك الأدباء الفلاسفة أو الفلاسفة الأدباء الذين حاولوا في القرن الرابع الهجري أن يميلوا الفلسفة إلى ثقافة شعبية يفيد منها العامة من الناس"³.

و إذا كانت آراء التوحيد قد اختلطت ببعض آراء فلاسفة آخرين كالسجستاني فلعل هذا ما يجعل للكتاب قيمة كبيرة .

3.7. الإمتاع والمؤانسة:

وهو أهم كتب التوحيد ، ظهر هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء صدرت على التوالي سنة 1131، 1144، 1142 بالقاهرة وقد تولى تحقيقه الأستاذان أحمد أمين و أحمد الزين .

¹ - إبراهيم الكيلاني، أبو حيان التوحيدي، ص 45

² - المرجع نفسه، ص 15

³ - زكريا إبراهيم، أبو حيان التوحيدي ص 14

ألفه التوحيدى بين سنتى 373هـ و 375هـ بطلب من صديقه أبى الوفاء المهندس يقول احمدا أمين فى مقدمة الكتاب " و هو كتاب ممتع على الحقيقة لمن له مشاركة فى فنون العلم ، فإنه خاض كل بحر و غاص كل لجة ، و ما أحسن ما رأته على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع بخط بعض أهل جزيرة صقلية وهو : ابتداء أبو حيان كتابه صوفيا ، و توسطه محدثا ، و ختمه سائلا ملحقا"¹.

يتضمن الكتاب أحاديث شتى سامر بها التوحيدى الوزير ابن العارض، و قد قسم التوحيدى كتبه إلى أربعين ليلة على غرار ألف ليلة و ليلة مع فارق فى المضمون الإمتاع عقلية واقعية ، و موضوعات ألف ليلة و ليلة قصصية خيالية" فإن كان ألف ليلة يصور أبدع تصوير الحياة الشعبية فى ملاحيتها و فتنها و عشقها ن فكتاب الإمتاع و المؤانسة يصور حياة الأرستقراطيين أرستقراطية عقلية، كيف يبحثون و فيم يفكرون ، و كلاهما فى شكل قصصى مقسم إلى ليال ، و إن كان خط الخيال فى الإمتاع و المؤانسة الأقل من حظه فى ألف ليلة و ليلة"².

كان ابن العارض فى كل ليلة يقترح على التوحيدى بعض المسائل الأدبية و اللغوية و الفلسفية أو العلمية ، و كان على التوحيدى ارتجال الجواب و فى نهاية الجواب و فى نهاية كل جلسة يطلب ابن العارض من أبى حيان ملحة الوداع و هى عادة أبيات من الشعر أو حكمة مأثورة أو عظة خلقية.

و موضوعات الكتاب متنوعة لا تخضع لترتيب و لا تبويب و إنما تخضع لخطرات العقل و طيران الخيال و شجون الحديث كما يقول أحمد أمين و نجد فى الكتاب مسائل من كل

¹ _ أبو حيان التوحيدى، الإمتاع و المؤانسة، ص م

² _ المصدر نفسه، ص ص

علم وفن، فأدب وفلسفة وحيوان ومجون و أخلاق وطبيعة وبلاغة وتفسير، وحديث وغناء ولغة وسياسة و تحليل ، وشخصيات لفلاسفة العصر و أدبائه و علمائه وتصوير للعادات و أحاديث المجالس ، وغير ذلك.

كما احتوى كتاب الإمتاع وثيقتين نفيستين انفرد التوحيدي في إيرادهما "الأولى وصف المناظر التي جرت في بغداد عام 326هـ- بحضور الوزير ابن الفرات بين العالم النحوي أبي سعيد السيرافي ومتي بن يونس المنطقي عن المنطق اليوناني و النحو العربي و الثانية الفصل المتعلق بإخوان الصفاء و هو الذي ألقى ضوءاً على هذه الجمعة السردية هذا وكتاب الإمتاع والمؤانسة مصدر ثمين لدراسة أدب التوحيدي من جهة ، والحياة الفكرية و الاجتماعية زمن بني بويه من جهة أخرى" ¹.

كان التوحيدي يرسل هذه الأحاديث إلى صديقه أبي الوفاء بعد أن يزبرج كثيرا منها بناصع اللفظ ، ويشرح الغامض ، و يصل المحذوف ويتم المنقوص ².
على أن أحمد أمين كان يشك في أمانة التوحيدي، معتقدا أنه قد تزيد في بعض الأحاديث و اخترع أشياء لم تجر في مجلس الوزير فأوصى أبا الوفاء بكتماها تفاديا من اطلاع الوزير على هذه الزيادات.

أما عن أسلوب الكتاب، فهو أسلوب التوحيدي المعهود ، جزالة وسهولة في العبارة مع إطناب و إطالة في تصوير الفكرة و إكثار من الازدواج لتنعيم العبارة ، واهتمام بالغموض لسبر غور الموضوعات.....

¹ -ابراهيم الكيلاني ، أبو حيان التوحيدي ، ص 31

² -المصدر السابق، ج2، ص126

4.7. الإشارات الإلهية و الأنفاس الروحانية: ¹

ألفه ءوحي دي سنة 471هـ في الدور الأخير من حياته بعد أن ءجاوز السبعين من عمره ، وهدأت ثورة نفسه الجامحة ، وءنح إلى حياة روحية صرفة هدفها الإءءاء نحو الله منبع الخير والءق والءمال.

يءءوي الءاب على 54 رسالة في المواعظ و الأدعية الصوفية ، وءد ءمئه ءوحي دي ءلاصة ءءاربه الروحية.

يقول أبو ءيان " أنا نطقء بهءه الأءغاز بعد سبعين سنة وءد ءءطء قناتي وءءمشء شواتي (ءلءة راسي) وءفءلء صفايي ، واءمءلء صفايي وبلية ءمئي وءءاوي وءفءء شهواوي وءءاوي ، وءنيت أءبي و لءاوي.."²

وءد ءولي ءءقيق الءزاء الأول من هءا الءاب عبد الرحمن بدوي سنة 1150هـ ، وبعء هءا الءاب الأوءء الذي ءبقي من بين ءبب عءيدة ءءبها ءوحي دي في ءءصوف.

5.7. الهوامل والشوامل: ³

نشره الأستاذان أحمد أمين ، والسيد أحمد صقر في القاهرة سنة 1151م و هو عبارة عن ءءابين لمؤلءين ءبيرين ، أسئلة من أبي ءيان ءوحي دي سماها " الهوامل " و أجوبة من مسءويه سماها " الشوامل " ، ومعنى الهوامل الإبل السائمة يءملها صاحبها و يءركها ءرعى ، وءقء اسءعارها ءوحي دي لأسئلءه المبعءرة الءي ءنءظر الءواب و "الشوامل"

¹ _الإشارات الإلهية ، ءءقيق وءاء القاضي ، ط2، ءار القاضي، ءار ءءافة ، بيروء ، لبنان 1402_ 1192

² _ءءريا إبراهيم ، أبو ءيان ءوحي دي ، ص 101

³ _ أبو ءيان ءوحي دي ، الهوامل والشوامل ، ءءقيق أحمد أمين و السيد صقر لءنة الءليف وءرءمة 1151

الحيوانات التي تضبط الإبل الهوامل فتجمعها وقد استعملها مسكويه في الإجابات التي أجاب بها فضبطت هوامل أبي حيان¹.

وقد أشار التوحيدي إلى هذا الكتاب في المقايسة السابعة من كتاب المقابسات وهذا ما يدل أن الهوامل والشوامل أقدم عهدا من المقابسات .

لقد كان التوحيدي " شخصية فلسفية مطلعة تستخلص الأسئلة من كل ما يقع أمامها سواء كانت المسائل خلقية أو اجتماعية أو لغوية أو اقتصادية أو نفسية"². وقد نشر التوحيدي في العام نفسه (1151) ثلاث رسائل:

6.7. رسالة السقيفة:

تمثل جانب النضال بين السنة والشيعة في عصر بني بويه وقد نسبها إلى القاضي أبو حامد المرور ودي ويرجع البعض أنها من تأليف أبو حيان وذلك لسببين:
الأول: تأثره بما وقع من حوادث دامية في زمنه بين أهل السنة و الروافض.
ثانيهما: عداوته الشديدة لكل من ابن العميد و الصاحب بن عباد و هما من أكابر الشيعة في زمانهما.

7.7. رسالة في علم الكتابة:

وهي عبارة عن بحث صغير في أنواع الخطوط العربية و أنواع الأقلام، ومعاني الخط...وهي تكشف عن سعة اطلاع و معرفة بالخطوط و أنواعها.

8.7. رسالة الحياة:

شرح فيها التوحيدي ثمانية أصناف من الحياة ، حياة الحس والحركة ، حياة العلم

¹ - زكريا ابراهيم ، أبو حيان التوحيدي ص 104

² - المرجع نفسه ، ص 105

و المعرفة ، حياة العمل الصالح ، حياة الديانة و السكينة ، حياة الخلاق المهذبة ، حياة مستجمعة من جملة الحيوات السابقة ، حياة الظن والتوهم ، حياة العاقبة التي تنال بعد الموت أو المفارقة .

وهناك نوعان آخران هما حياة الملائكة، وحياة الله عز وجل، و يسرد أبو حيان بعض أقاويل فلاسفة اليونان في الحياة و الموت.

9.7. البصائر و الذخائر:

حققه ونشره سنة 1153 الأستاذان أحمد أمين و السيد أحمد صقر، كما قام بتحقيقه ابراهيم الكيلاني و صدر في ثلاثة مجلدات ضخمة بدمشق مع مقدمة مطولة عن أدب التوحيد و أسلوبه في التأليف و الإنشاد وهو كتاب ضخم في عشرة أجزاء ألفه التوحيدي بين عامي 350هـ، 365هـ — ومثل ثمرة لجهد طويل دام 15 عام، ينطوي على أفانين شتى في المعرفة و فلسفة وتصوف و أدب وفقه وشعر ونثر و تاريخ و فكاهة... الخ

وقد حرص التوحيدي في مقدمة كتابه على ذكر المصادر التي استقى منها معلوماته ، ويكشف لنا هذا الكتاب عن ثقافة أبي حيان الواسعة ، واطلاعه الهائل و أمانته العلمية في النقل و التحقيق كما يقدم لنا محصلة عن مطالعة التوحيدي وتجاربه ، وعن اتجاه نواحي الثقافة عنده وفي المجالس التي كان يرأسها أستاذه و أرباب المعرفة في زمنه أمثال أبي حامد المروروزي و السيرافي و الزهري وغيرهم.

1..7. مثالب الوزيرين:

اضطلع بنشره ابراهيم الكيلاني بدمشق سنة 1161 وهي رسالة في أربعمائة صفحة وكان التوحيدي قد وصفها في كتاب الإمتاع و المؤانسة في الليلة الرابعة مخاطبا ابن

سعدان " على أي عملت رسالة في أخلاق الصاحب و أخلاق ابن العميد ، وهي تجزع في دست كاغط فرعوني"¹.

وقد أضاف إليها التوحيدي نصوصا جديدة حتى وصلت إلى الحجم الضخم الذي هي عليه الآن ، وصور من خلال هجاءه للوزيرين و الإساءة إليهما جوانب هامة من الحياة الفكرية و الأدبية و الاجتماعية خلال القرن 4هـ - بالإضافة إلى أحاديث و تعليقات وطرائف أدبية و فلسفية ولغوية و شعرية تدل على اتساع ثقافة التوحيدي. و للتوحيدي كتب أخرى بعضها مخطوط وبعضها مفقود منها.

11.7. الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي:

وقد أشار ياقوت الحموي لهذا الكتاب في معجم الأدياء كما ذكره الخوانساري في " روضة الجنات" وقال عنه " أنه نظير ما كتبه حسين بن منصور (الحلاج) في كيفية حج الفقراء من اختراعات نفسه المخدولة ، فصار عمدة السبب في قتله "². والظاهر هو أن هذا الكتاب هو نفسه كتاب الحجاج الذي أشار إليه محمد كرد علي وقال أن هناك نسخة منه محفوظة في دار الكتب ببلنجراد .

ويرى مرجليوث أن عنوان هذا الكتاب يوحي بالزندقة التي قتل من أجلها الحلاج³ ، ولا يمكن الإدلاء برأي قاطع حول اتهام التوحيدي بالزندقة الذي الصق به ما لم يتم نشر رسالته المسماة " الحجاج".

¹ - أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ج1 ص 50

² - إبراهيم الكيلاني ، أبو حيان التوحيدي ، ص 41

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها

بالإضافة إلى تصانيف أخرى ذكرها ياقوت الحموي منها المحاضرات و المناظرات ، كتاب الرسالة البغدادية ، كتاب الرسالة في أخبار الصوفية ، و كتاب الرسالة في الحنين إلى الأوطان و كتاب تقرير الجاحظ.¹

8. حرق التوحيدي لكتبه:

للهولة الأولى يتبادر إلى الذهن سؤال واحد، لماذا أحرق التوحيدي كتبه؟ لكن من يعرف شخصية كشخصيته لا يستغرب منه فعلا كهذا ، فالتوحيدي شخص اتسم بالتشاؤم و القنوط طوال حياته ، و لم يكن من سعيه المتواصل في الحياة إلا الإخفاق والسخرية و الصد القبيح ممن قصدهم و أحسن الظن بهم ، حتى ضاقت به الحياة وفقد الأمل في إصلاح حاله ، و لم يستطع كتم سخطه على الناس مما جعله في صراع دائم وشعور بالنقص والدونية.

و كان من نتائج هذا الصراع بين نفس التوحيدي المتشوقة إلى النعيم و حالة العجز و الحرمان ظهور هذا الطابع التشاؤمي الذي جعله شخصية منطوية تعاني اليأس و الضياع مما دفعه في آخر المطاف إلى حرق كتبه تعبيرا عن سخطه على الدنيا بأسرها، وضا بها على من لا يعرف قدرها بعد موته.

ولعل السؤال الآخر الذي تبادر إلى الذهن إذا كان التوحيدي قد أحرق كتبه فمن أين وصلت إلينا؟ يقول السيوطي في هذا السياق " لعل النسخ الموجودة الآن من تصانيفه، كتبت عنه في حياته وخرجت من قبل حرقها "² .

¹ -ياقوت الحموي ، معجم الأدباء، ج4 ص 291

² - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المآنة، المقدمة، ص د

أما أحمد أمين فرأى أن التوحيدي " كان من شؤمه أنه لم يبق من كتبه التي ألفها و تبلغ نحو العشرين ، إلا القليل ، ولم يطبع منها إلا المقابسات و الصداقة والصديق و رسالة في العلم و ما بقي منها مخطوطا ، بل وما طبع منها مملوء بالتحريف و التصحيف إلا حد يقلل من قيمتها والانتفاع بها " ¹.

أقدم التوحيدي على حرق كتبه عام 400هـ و كان مقتنعا في قرارة نفسه أنه اتخذ القرار الصائب ، و لم اعلم القاضي أبو سهل بصنيعه كتب إليه رسالة يعدله على هذا الصنيع ، فرد عليه التوحيدي معذرا و محاولا تبرير تصرفه .

أورد التوحيدي في رسالته التي وجهها إلى أبي سهل دوافعه إلى حرق كتبه و غسلها بالماء، و يقر بأنه أقدم على هذه الفعلة بمحض إرادته بعد أن استخار الله كما قال أياما و ليالي فهداه إلى اتخاذ مثل هذا القرار .

إستهل التوحيدي رسالته باللوم والعتاب لصديقه الذي جافاه مدة من الزمن يقول " حرسك الله أيها الشيخ من سوء مودتك ، و طول جفائك و أعادي من مكافئتك على ذلك ، وأجارنا جميعا مما يسود وجه عهد إن رعيناه كنا مستأنسين به ، و إن أهملناه كنا مستوحشين من أجله ، و أدام الله نعمته عندك و جعلني على الحالات كلها فداك " ².

وقد كانت حادثة الحرق هذه سببا في عودة الود بينهما بعد أن انقطع من جهة أبي سهل، وكان بمثابة المفاجأة السارة لدى أبي حيان حيث إنه لم يكن يتوقعها أبدا حتى أنه شكر الله على هذه النعمة يقول " وافاني كتابك غير محتسب و لا متوقع على ظمأ برح

¹ - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و الموانسة، المقدمة، ص د

² - ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص 16

به إله ، وؤكرف الله على النعمة به على ، وسألته المزفد من أمثاله ، الذي وصفف
فه بعد ذكر السوق إله ، و الصبابة نحوف ما نال قلبك و التهب فف صؤرك من الآبر
الذي نفم إلهك ففما كان منف من إءراق كؤبف النففسة بالنار و غسلها بالماء"¹ .

و فف الأءفر فرفوؤ الؤؤهفد فف صؤفقه إلا فقفع ءبل الود من ءفد فف أن فرسل إله
رؤه على آطابه هؤا " إن سرؤ ءعلف الله فؤاك أن ءواصلف بفءرك و ءعرفف فرف
آطابف هؤا من نفسك فافعل فإف لا أؤع ءوابك إله أن فقفضف الله ءعالف ءلاقفا فرسر
الففس ، و فذكر ءؤفؤنا بالأمس"² .

و إذا رءعنا إله الأسباب الؤف ذكرها الؤؤهفد لؤبرفر فعل الءرق ففهف مؤؤؤة
اسؤهلها فف باؤف الأمر بقوله ءعالف " كل شفء هالك إلا وءهه له الءكم وإله
ءرءعون"³ ، وقوله ءعالف " كل من عليها فان"⁴ ، فهو فرى أن كل شفء هالك إلا وءهه
ولما كان الؤؤهفد مؤشامفا بطبعه فقد اسؤءل بهؤفن الآففن الءالفن على الفناء ، فف ءفن
هناك آفاء كؤفره ءؤء على العلم والعمل .

وقء أكد الؤؤهفد أنه أقءم على فعل الءرق بعد أن اسؤءار الله آفاما و لفالف ءؤف
أوحف إله فف المنام ، إلا أن نفة الءرق هؤه كانت قد سبقت صلاة الاسؤءارة والؤف أؤاها
لفقق نفسه ، وفسؤطفق إقناع رفره من بعد بشرفة فعل الءرق ، فقول " اسؤءرف الله
عز وءل ففه آفاما و لفالف ، ءؤف أوحف إله فف المنام بما بعء راقد العزم ، و أءء فافر
الفة ، و آءفا مفء الرفف وءء على ءنففء ما وقع من الروع و ءرفع فف الآطاف ،

¹ - فافؤء الءموف ، معءم الأؤباء ، ص 17

² - المصؤر نفسه ، ص 25

³ - سورة القمص ، الآفة ⁹⁹

⁴ - سورة الرءمن الآفة ، 26

وأنا أجود عليك الآن بالحجة في ذلك إن طالبت ، أو بالعدر إن استوضحت ، لتثق بي فيما كان مني و تعرف صنع الله تعالى في ثنيه لي "1.

9. أسباب الحرق و دلالاته:

الحجة الأولى:

"إن العلم خالطك الله يراد للعمل، كما أن العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصرا عن العلم، كان العلم كلا على العالم، و أنا أعوذ بالله من علم عاد كلا و أورث دلا، و صار في رقبة صاحبه غلا"2

كان التوحيدي يرى في علمه كلا و لم ينل منه إلا الذل وقد أفنى عمره في طلب العلم من أجل تحسين أحواله و العيش في مستوى يليق به غلا انه في نهاية المطاف لم ينل غير الدل و الهوان حتى آخر أيام حياته، فما كان منه إلا أن أحرق كتبه التي كانت سبب شقائه.

الحجة الثانية :

حوت كتب التوحيدي من أصناف العلم سره وعلانيته وما كان سرا لم يجد من يتحلى بحقيقته راغبا و ما كان علانية فلم يصب من يحرص عليه طالبا³.

الحجة الثالثة:

ألف التوحيدي كتبه و جمعها للناس من أجل طلب المثالة منهم و لمد الجاه عندهم لكنه لم ينل شيئا مما كان يصبو إليه ، فهداه الله لحرق كتبه ففعل ذلك على كره منه لأنه كان

1 - ياقوت الحموي، معجم الأدياء، ص ص 17-19

2 - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

3 - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

يرى أن فعل الحرق هذا سيكون حجة عليه لا له . وقد حاول التوحيدي تنبيهنا إلى عاقبة الطموح الزائف الذي لا يتخذ من العلم سوى مجرد مطية للجاه و الرياسة.

الحجة الرابعة:

كان شعور التوحيدي باليأس كبيرا نتيجة لفقدانه للولد النجيب و الصديق الحبيب و الصاحب القريب و التابع الأديب و الرئيس المنيب، فشق عليه أن يترك أعز ما يملك إلى أناس يتلاعبون به و يحاولون البحث عن عيوبه ويشمتون بسهوه و غلظه إذا تصفحوا كتبه يقول " وكيف أتركها لأناس جاورهم عشرين سنة فما صح لي من أحدهم و داد ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ ، ولقد اضطرت بينهم بعد العشرة و المعرفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء ، و إلى التكفف الفاضح عند الخاصة و العامة ، و إلى بيع الدين و المروءة، و إلى تعاطي الرياء بالسمعة و النفاق و إلى مالا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم ، و يطرح في قلب صاحبه الألم"¹.

الحجة الخامسة:

لقد كانت حياة التوحيدي مليئة بالتشاؤم و اليأس وقد بلغ شعوره باليأس ذروته عند بلوغه عشر التسعين ، و لم يعد له أمل في حياة لذيذة أو رجاء لحال جديدة و حشر نفسه في زمرة من قال القائل فيهم:

نروح و نغدو كل يوم و ليلة و عما قليل لا نروح ولا نغدو².

¹ - ياقوت الحموي معجم الأدباء ، ص ص 11-20

² - المصدر نفسه، الصفحة نفسها

الحجة السادسة:

إن لأبي حيان في إحراق هذه الكتب أسوة بأئمة اقتدى بهم و أخذ يهدهم أمثال أبو عمرو و أبي العلاء الذي دفن كتبه في بطن الأرض فلم يوجد لها أثر ، و داود الطائي الذي طرح كتبه في البحر و قال ينجيها " نعم الدليل كتب، و الوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول و بلاء و خمول " ¹. و يوسف بن أسباط حمل كتبه إلى غار فسد بابه ²، و أبو سليمان الدراتي جمع كتبه في تنور و سجرها بالنار و هو يقول " والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك " ³. و لما عاتبه الناس على ذلك قال " دلنا العلم في الأول ثم كاد يدلنا في الثاني، فهجرناه لوجه من وصلناه و كرهناه من أجل ما أردناه " ⁴. و سليمان الثوري مزق ألف جزء و طيرها في الريح و قال " ليت يدي قطعت من ها هنا بل من ها هنا و لم أكتب حرفاً " ⁵. أما أبو سعيد السيرافي فقال لولده محمد: " تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الأجل ، فإذا رأيتها تخونك فأجعلها طعمة للنار " ⁶.

الحجة السابعة:

بعد كل هذه المعاناة من شظف العيش و آلم الحياة أصبح مرضه و شيخوخته سببا من أسباب حرقه لكتبه بنجده يقول " فقد كل البصر، و انعقد اللسان و جمد الخاطر و ذهب البيان ، و ملك الوسواس و غلب اليأس من جميع الناس..... على أي لو علمت في أبي

¹ - ياقوت الحموي معجم الأدباء ، ص 21

² - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

³ - المصدر نفسه ، ص 22

⁴ - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

⁵ - المصدر نفسه ، الصفحة نفسه

⁶ - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

حال غلب علي ما فعلته، وعند أي مرض و على أية عسرة ، وفاقا لعرفت من عذري أضعاف ما أبديته و احتججت لي بأكثر مما نشرته وطويته"¹.

من هنا تتضح لنا الحالة النفسية السيئة التي كان يعيشها التوحيدي و التي جعلته يرى أن آماله قد تبددت بعد أن اكتشف تفاهة الحياة الدنيا وهذا ما حدا به إلى إحراق كتبه. إن لهذه الرسالة التي كتبها التوحيدي ردا على صديقه أبي جهل قيمة كبيرة في فهم نفسيته المثقلة بالهموم وخيبة الأمل، و الألم على مافات من العمر بعدما انكشفت له تفاهة الحياة و انهارت كل المطامع و الآمال فما كان منه غلا أن يستسلم لليأس و الوحدة " و التحسر على فوت المأمول بعد المأمول ، يأكل إصبغه أسفا ويزدرد ريقه لهفا " ².

وقد حاول الباحثون و النقاد دراسة هذه الوثيقة محاولين الغوص في شخصية التوحيدي و التركيز على نفسيته القلقة، متتبعين تفاصيل حياته، طفولته المعذبة و شبابه الذي نمت فيه موهبة بعيدا عن الأب و الأم و الزوجة و الابن فنبغ نبوغا لم يضاهيه مثيل ، فأصبح العالم و الفقيه و الفيلسوف و المتكلم و الأديب و النحوي و المفكر، وانتهى به المطاف باللجوء إلى العزلة و الانكماش متألما من جهل معاصريه واستخفافهم به ، فاحرق كتبه ظنا بها على من لا يعرف قدرها بعد موته كما قال ياقوت الحموي.

لقد اعتبر الكثير من الباحثين شخصية التوحيدي شخصية تفتقد إلى التوازن النفسي لكونه عاجزا على التعايش و التعامل مع الناس.

¹ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص ص 24، 25

¹ - أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و الموانسة ج 1 ص 9

أرجع إبراهيم الكيلاني هذا الاضطراب في شخصية التوحيدي إلى ذكائه الخارق فكان ذلك الصراع بين الذكاء والعمل " والمعروف أن الأذكىاء و النبغاء هم في الغالب أبعد الناس عن الفوز في الحياة الكفاحية العملية ، و الاهتداء إلى سبل النجاح فيها و تحصيل أمور الدنيا ، لأن توسع الذكاء يضعف الإرادة ، و حياتنا العقلية كحياتنا العضوية مبنية على التكافؤ و التناسب في الملكات و المواهب و القوى الجسمية و الروحية، فكما أن في تقوية إحدى الجوارح إضعافا لغيرها ، فإن في توسيع الذكاء و إعمال القوى المفكرة تعطيلًا للإرادة وخلقًا للعجز و التردد" ¹.

إن أكثر ما يؤلم التوحيدي وينغص عليه عيشه هو الفقر ، والفقر عنده " فكرة رهيبة يضخمها خياله التحليلي فيزيدها رهبة و هولاً ، فهي تنطوي على معاني الحرمان و الجهد الأليم الذي يتطلبه الحصول على العيش الهنيء المرموق" ².

وقد بلغ به الفقر أنه كان لا يظفر بقوت يومه فقد كان " يأكل الكسيرة اليابسة و البقيلة الداوية ، ويلبس القميص المرقع ، و يتأدم بالخبز و الزيتون و ينفق أربعين درهما بالشهر" ³.

لم تهب الحياة للتوحيدي شيئاً من مباحجها و مسراتها ومع هذا فقد ظل شديد اللهفة و التعلق بها حتى آخر أيامه يقول " وبعد فقد أصبحت في هامة اليوم أو الغد ، فإنني في عشر التسعين ، وهل بعد الكبر و العجز أمل في حياة لذينة أو رجاء لحال جديد" ⁴

1- إبراهيم الكيلاني ، أبو حيان التوحيدي، ص32

2- أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ج3، ص ص161، 162

3- المصدر نفسه ، ج1، ص13

¹ _ المصدر نفسه ، ج1، ص14

لقد سعى التوحيدى طوال حياته يبحث عن الرفاهية والعيش الكريم، فلم يتم له ما أراد و لم يستطع إرضاء أصحاب السلطان و يضحى بالمال والجاه فبقيت حسرة في نفسه حملها معه إلى اللحد.

لم يجن التوحيدى من سعيه المتواصل في الحياة إلا الإخفاق و الصد ممن قصدهم و أحسن الظن بهم حتى ضاقت به الحياة، وفقد الأمل في إصلاح حاله فلم يستطع أن يكتف سخطه على الناس ، و تمرده على الأوضاع السائدة ، وما كان منه إلا أن أحرق كتبه ظنا بها على من لا يعرف قيمتها.

و يرى زكريا إبراهيم أن التوحيدى كان يتمتع بشخصية غير متكاملة نفسيا مندفعة و متهورة ، عاجزة عن التميز بين ما ينبغي أن يقال و ما لا ينبغي أن يقال لأنه لم يكن يملك القدرة على الكف الإرادى وضبط النفس وربما كان سوء التفاهم الذى نشأ بينه وبين كل من ابن العميد و ابن عباد هو أنه لم يكن يحسن التصرف في حضرتهما بل كان يتعامل معهما كما لو كانا شخصين عاديين.

"ليس في وسعنا _ وبطبيعة الحال _ أن نعلل عجز أبي حيان التمييز بين المواقف المختلفة وعدم تمكنه من ضبط نفسه والتحكم في إرادته ، فإن جهلنا بنوع التربية التي تلقاها في صباه و أسلوب الحياة الذي درج عليه في طفولته ، يحول بيننا وبين تفسير مثل هذا الانحراف ، ولكننا نميل إلى الظن بأن هناك عاملين أساسيين عملا على إختلاف تكامله النفسى ، أولهما فساد ترقبه الوجداني ونقص نضجه الإنفعالي من جهة أخرى"¹.

¹ _ زكريا إبراهيم ، أبو حيان التوحيدى، ص90

لقد كان إندفاع التوحيدي وتدمره نتيجة للظروف التي مر بها ويظهر أن خصومه قد عرفوا فيه هذا الضعف فاستغلوه أحسن استغلال وهذا ما جعلهم ينجحون في استثارة حفيظة الوزراء والكبراء ضده.

عاش التوحيدي غريبا بين قومه يقول " وقد قيل الغريب من جفاه الحبيب ، وأنا أقول الغريب من واصله الحبيب ، بل الغريب من تغافل عنه القريب ، بل الغريب من حابه الشريب بل الغريب من نودي من قريب ، بل الغريب من هو في غربته قريب ، بل الغريب من ليس له نسيب..... الغريب من إن حضر كان غائبا ، و إن كان حاضرا ، الغريب من إذا رأته لم تعرفه و إن لم تره لم تستعرفه"¹.

ولما اشتد شعوره بالغرابة والعزلة والوحدة، ما كان منه إلا أن أحرق كتبه و أحرق معها كل ماضيه التعيس واتخذ الزهد و التصوف ملاذا نهائيا له.

وقد شبه واسيني الأعرج فعل الحرق في جوهره بالإنحجار ، عينه و الإستمرار في التدريجية الصوفية التي تقود إلى التلاشي فيما هو مطلق ، ورغبة محمومة في العودة إلى طفولة الأشياء الأولى لبدء رحلة أخرى مدفونة في عمق الإشارات ويرى أن "الحرق و الخو أداة التوحيدي المتبقية ليثبت حريته و قدرته في مواجهة الاستبداد و الخوف و القدرة على التقاطع مع مستقبل غامض ، هزم الآخرين من حيث كان يريد تفادي ظلمهم — ابتغى الخو ، الموت ، إذ إن الحرق معناه حرق الذاكرة من إسم إسمه التوحيدي ، لكن عمق التراجيديا التي لا تقبل بمصير غير الذي تخطه جعلت التوحيدي يخرج من رماده كطائر الفينيق و يصل بالضرورة إلى عمق اللغة ، فالإنسان

¹ _ أبو حيان التوحيدي الإشارات الإلهية ، تحقيق و داد القاضي ، ط2، دار القاضي دار الثقافة ، بيروت ، لبنان 1191، ص

الذي ضيع الأثر ويضيع محيطه هو الآن بصدد خسران ماذا يبقى له من غير اللغة؟....¹.

إسأل الباعث وليد منير في تحليل ظاهرة الإغراب عند الالوحيدي مصطلح "عدم الالانس المكانة" الذي يمال إنعكاسا واضحا لسوء الالقيام الالالاعي فيقول "نشأ مصطلح عدم الالانس المكانة في العلوم الإالالاعية ليعبر عن وضعية إالالاعية، الالصف بالانس الالاقع عليها، وهو يعني فالان الالانس بين كفاءة الشالالالية والالاقع من السلم الإالالاعي من ناحية، وبين الالالير الإالالاعي من ناحية أخرى"².

يعكس هذا المصطلح معنى الإغراب في الالالربة الصوفية، فهو أصلا لا يرجع إلى ازدرء الالال الالاضر الالوجود، بل يرجع إلى إزدرء الالاضر الالوجود للالال ونفياها واهمالاها، وهو مالال للالوحيدي من الالالاش ونفور الناس والالالاع منه وهذا ما أنالال حالة الالأس والالالالوى والإغراب، مما الالعه إلى إالال كالبه لفالالان المكانة والالالير، بالالالاره مالالعا فالالالاع من الالالاع والإالالاع، ووالال ذكاه كان وبالا عليه الالرم بسببه رغال العياش ولما اكالالشف عدم الالالره على الالالير في الناس انصرف منالال الناس من الالالرة إالالالاه، والالالار الالالوف والالالالواء ليرال الإالالالار لنفله.

الالالال الصورة الالال الالال بالها الالالال الالوحيدي فيما يلي:

الالالال الالالال: رالال الالال الالالال، فالالال مالالالال الالال الالال.

الالالال الالالال: الالالال الالالال في نيل الالالال والالال

¹ _ واسببب الأالال، الكالالال الالالالال الالوحيدي، نص الالالال والنور، الالالال فالال أبو الالال الالوحيدي ص 333

² _ وليل منير نالال الالال عند أبو الالال الالوحيدي عن الالال الالالال الالالال في الالالال الالالال، الالالال فالال، أبو الالال

يتميز بالضيق الشديد من المجتمع و من الآخر الذي نفر منه
مندفع متهور سليط اللسان في تعامله وفي نقده للناس و لذوي

الجاه

المظهر الإجماعي : يفتقد التكيف و الذكاء الإجماعي

المظهر الثقافي : على درجة عالية من الذكاء ، يشهد له النقاد و المؤرخون

و القدماء و المحدثون بثقافة موسوعية.

أجمع الباحثون و الدارسون على أن حياة التوحيدي كانت سلسلة من الإخفاقات ، إذ

لم يظفر بالحب و الترحاب من قبل الوزراء و الملوك إلا ما جاء استثناء على الرغم من

سعة ثقافته ، وقدرته العلمية و الأدبية ، إلا أن هذا لم يشفع له على الإطلاق بأن يحظى

بما يجب أن يكون عليه العالم و المفكر و الأديب .

إن هذه الصورة البائسة هي التي هيمنت على تفكيره و حياته ، التي جعلته أكثر تشاؤما

و معاناة سواء على الصعيد الفردي أو الجماعي.

الفصل الثاني

1. الإمتاع و المؤانسة بين الشفاهية و الكتابة

2. مفهوم السرد التوحيدي

3. مكونات السرد التوحيدي

1.3. الخبر

2.3. الحوار

_ السؤال

_ التعليق

_ الرواية

_ الإسناد

4. مصادر الحديث لدى التوحيدي

_ الذاكرة

_ الحافظة

_ المتصرفة

5. خصائص المروي في الإمتاع و المؤانسة

6. الراوي

7. الفضاء

8. الزمن

تختلف البنية السردية للنصوص العربية القديمة عن البنية السردية للنصوص المعاصرة وسنحاول في هذا الفصل تسليط الضوء على البنية السردية لنصوص الإمتاع والمؤانسة وذلك من خلال الوقوف على أهم العناصر المكونة لهذه البنية.

1. الإمتاع والمؤانسة بين الشفاهية والكتابة:

مر إنتاج الإمتاع والمؤانسة بمرحلتين أساسيتين ، مرحلة المشافهة ثم مرحلة الكتابة و هذا ما أدى إلى وجود إختلاف في عدد الليالي وحدوث إضطرابات على مستوى ترقيم الليالي في الكتاب.

هذا الإضطراب راجع إلى التغييرات التي تطرأ على الخطاب حين الإنتقال به من وضعية المشافهة إلى وضعية الكتابة، يقول بول زيمثور " عن إنتاج الخطاب بالكتابة من وجهة نظر لسانية يحتوي على مخاطرة فقدان الخبر الناتج عن عزل عوامل المقام ، وتحصل المخاطرة بعلامات خاصة بالكتابة"¹.

إذا نظرنا إلى ليالي الإمتاع والمؤانسة على المستوى الكتابي نجد أن مجموع الليالي سبعة وثلاثين ليلة أما على المستوى الشفاهي الذي جسده المسامرات التي جرت بين التوحيدي و الوزير نجد أربعين ليلة.

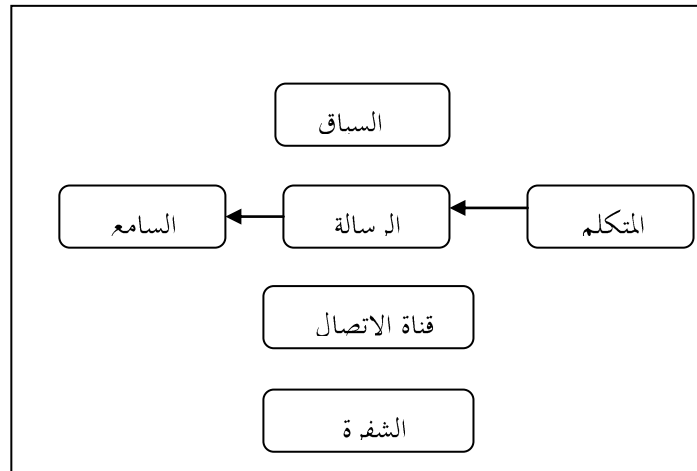
هذا الإختلاف راجع إلى المسافة الزمانية و المكانية التي تفصل بين الشفائي والكتابي ذلك أن المجلس " مقام خاص للتواصل يحضر فيه طرفا الكلام (المتكلم و السامع) لذلك يجري الكلام وفق شروط مناسبة أما الكتابة فشيء آخر ، وذلك لاختلاف المقام والآداة"².

¹ - وتيكي كميلا ، كتاب الإمتاع والمؤانسة بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة ، ص 233

² - سعيد يقطين ، السرد العربي ، مفاهيم و تجليات ص 197

و قد أدرك التوحيدى هذا الإختلاف منذ الوهلة الأولى فنجده يخاطب أبا الوفاء المهندس قائلاً " إنما نثرت بالقلم ملاق به ، فأما الحديث الذى كان يجرى بينى وبين الوزير فكان على قدر الوقت والحال و الاتساع يتبع القلم ما لا يتبع اللسان و الروية تتبع الخط ما لا تتبع العبارة..."¹

إن الإنتقال من الخطاب الشفوى إلى الخطاب المكتوب يكون مصحوباً بعدة تغييرات و قد أشار بول ريكور إلى هذه التغييرات فى حديثه عن الكلام والكتابة منطلقاً من المخطط الاتصالي لرومان جاكبسن الذى يقوم على ستة عناصر : المتكلم ، السامع ، الوسيط ، قناة الاتصال ، الشفرة ، السياق و الرسالة ، وتقرن هذه العناصر بمجموعة من الوظائف: الإنفعالية ، الإقناعية ، التعاطفية ، اللغوية الشارحة ، المرجعية و الشعرية .



المخطط الاتصالي لرومان جاكبسن²

¹ - أبو حيان التوحيدى الإمتاع والمؤانسة ج3، ص399

² <http://ar.wikipedia.org> و <http://zendal.maktoobblog.com>

أولى التغييرات تطراً على القناة التي ينتقل عبرها الخطاب ، حيث تحل علامات مادية خارج جسم الإنسان المتكلم (الورق) محل صوته و وجهه و إيماءاته إذ يختفي الواقع البشري و تنوب عنه علامات مادية في نقل الخطاب و قد تثبت الكتابة ما يفلت من الكلام.

تكمن مهمة الكاتب في إيصال الخطاب عبر الكتابة إلى متلق غير مباشر ، وهنا تحضر المسافة المكانية " فالاسترسال في الكلام لا يتحقق بالوتيرة نفسها في الكتابة ذلك لأن المتكلم أمام سماعه يستعين بوسائط عديدة وهو يؤدي كلامه ، فالحركات ونبرات الصوت كلها تساعد على ملء العديد من الفجوات أو الثغرات التي لا يمكن ملؤها في الكتابة دون أعمال الروية وضبط تركيب الكلام وبنائه لحصول المعنى و بلوغه إلى المتلقي"¹، ولا يمكن تجاوز هذه المسافة إلا بالخضوع لقواعد تأليف الكلام على صعيد الكتابة و هي غير قواعد الكلام المباشر لذلك تستدعي الروية الزيادة لملء الفراغات.

فضلا أن هناك تغييرات تمس الرسالة و المتكلم و هذه التغييرات تؤثر على العملية الاتصالية من خلال علاقة الرسالة بالمتكلم وعلاقة الرسالة بالسامع ، تتحوّل علاقة المشافهة التي تقوم أساساً على مبدأ الحضور (المتكلم / السامع) وجهاً لوجه إلى علاقة قراءة و التي تكون أكثر تعقيداً ذلك أن السامع يتحول إلى قارئ يواجه مادة جافة عليه استنطاقها و حل شفراتها و تبدو هذه الثغرات واضحة من خلال ليالي الامتاع والمؤانسة حيث صرح أبو حيان في مقدمة كتابه أن الخطاب كان يقوم على المشافهة بينه وبين الوزير ابن العارض ، وبطلب من أبي الوفاء المهندس إنتقل الخطاب من وضعية المشافهة إلى وضعية الكتابة ، و بما أن أبا الوفاء كان الوسيط بين الوزير و أبي حيان حيث كان له

¹ - سعيد يقطين ، السرد العربي مفاهيم وتحليلات، ص199

الفضل في تقريب التوحيد من الوزير و جعله مسامرا له حتى يغير من أوضاعه المادية المزرية ، وهذا ما دفعه إلى الاعتقاد أن من حقه أن يطلع على مسامراته لأنه كان طرفا رئيسا في وجودها ولهذا خاطبه معاتبا " أفكان من حقي عليك في هذه الأسباب التي ذكرتها وفي أخوتها التي تركتها كراهة الإطالة بها أن تخلو بالوزير _أدام الله أيامه _ ليالي متتابعة و مختلفة ، فتحدثه بما تحب و تريد ، و تلقي إليه ما تشاء و تختار وتكتب إليه الرقعة بعد الرقعة ولعلك في عرض ذلك تعد طورك بالتشدد وتجاوز حدك بالاستحراق ، وتتناول إلى ما ليس لك ، و تغله في نفسك و تنسى زلة العالم وسقطة المتحري ، وخجلة الواثق....."¹.

وبعد هذا التهديد و التحقير وجد التوحيد نفسه مضطرا لكتابة كل ما دار بينه و بين الوزير في رسالة وبعثها إلى أبي الوفاء ، يقول التوحيد " هذا و أنا أفعل ما طالبتني له من سرد جميع ذلك ، إلا أن الخوض فيه على البديهة في هذه الساعة يشق و يصعب بعقب ما جرى من التفاوض فإن أذنت جمعته كله في رسالة تشتمل على الدقيق و الجليل ، و الخلو و المر و الطري و العاسي ، و المحبوب و المكروه"².

دون التوحيد ما جرى بينه و بين الوزير إلا أننا لا يمكن أن نتكهن أن ما وصل إلى يدي أبي الوفاء المهندس لم يكن مطابقا تماما لما جرى في مجلس الوزير و يمكننا تعليل ذلك بالإختلاف الموجود بين الخطاب الشفوي والخطاب المكتوب .

يختلف النص الناتج عن الكتابة عن الخطاب الشفاهي لأنه " لا يعرض بالتفصيل دائما لكل الجوانب و الجزئيات المرتبطة بالحكي أو الوصف بل يسكت عن كثير من

¹ - أبو حيان التوحيد، الإمتاع والمؤانسة ج1، ص12

² - المصدر نفسه، ج1، ص14

المعطيات التي يعتبرها جزءا من كفاية القارئ النصية و الذي عليه بمجهوده التعاوني إستحضارها و تشغيلها لاستكمال الاجزاء الناقصة في العالم الممكن الذي يتحدث عنه النص"¹.

والقارئ مطالب بالمبادرة في تأويل النص و فك شفراته أما على مستوى الخطاب الشفوي فتتظافر مجموعة من العوامل في إيصال القصد إلى السامع كالإشارات و الإيماء التي يقوم بها المرسل لإيضاح المعنى و عدم ترك أي فراغات يعجز المستمع عن ملئها . إن التغيير يتعدى النص ليصل إلى الجملة حيث نجد الجمل في الخطاب الشفوي " تدل على المتكلم بها من خلال الأدوات الإشهارية المتعددة للذاتية والشخصية ، لكن قدرة الخطاب على الإحالة على الذات المتكلمة به في الخطاب المنطوق تقدم سمة البداية ، لأن المتكلم ينتمي إلى سياق القول المتبادل فهو هناك بالمعنى الأصيل للوجود و بالتالي يتداخل القصد الذاتي للمتكلم ومعنى الخطاب ، بحيث يصير فهم ما يعنيه المتكلم وما يعنيه الخطاب أمرا واحدا"².

و إذا انتقلنا إلى الخطاب المكتوب نجد أن "قصد المؤلف ومعنى النص يكفان عن التطابق و التمازج في الخطاب المكتوب"³.

أدرك التوحيدي الفرق الموجود بين و ضعيتي الخطاب : المشافهة والكتابة أي الإفاضة في اللسان و الكتابة يقول " والكلام ذو جيشان ، والصدر ذو غليان و القلم ذو نفيان

¹ - ميلود حبيبي ، النص الأدبي بين التلقي و إعادة الإنتاج من أجل بيداغوجيا تفاعلية للقراءة والكتابة ، كلية علوم التربية الرباط ، نظرية التلقي أشكال و تصنيفات ص 174.

² - بول ريكور ، نظرية التاويل الخطاب وفائض المعنى ترجمة سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط 1 ، 2003 ، ص 61

³ - مرجع نفسه ، صفحة نفسها

ومتدفقه لا استطاع رده ، ومنبعثه لا يقدر على تسهيله ، و خطبه غريب ، وشأنه عجيب" ¹.

و الكتابة تستدعي التنسيق و الإصلاح و التكلف يقول " و لم آل جهدا في روايتها (الأحاديث) و تقويمها بل زبرجت كثيرا منها بناصع اللفظ مع شرح الغامض و صلة المحذوف و إتمام المنقوص" ².

و لما جاءت الكتابة بسبب ضغوط الوسيط أبي الوفاء المهندس الذي يعتبر المتلقي الغائب للخطاب المكتوب كان لزاما على التوحيدي الإستزادة من أجل ملء العديد من الفجوات لحصول المعنى وبلوغه إلى المتلقي.

يعترف التوحيدي في عدة مواضع أنه استزاد في الليالي ، يقول في الليلة الثامنة والثلاثين " إنما نثرت بالحلم ما لاق به فاما الحديث الذي كان يجري بيني و بين الوزير فكان على قدر الحال و الوقت (الواجب) ، و الإتساع يتسع الحلم ما يتسع اللسان ، و الروية تتبع الخط ما لا يتبع العبارة ، و لما كان قصدي فيما أعرضه عليك و القيه إليك ، أن يبقى الحديث بعدي وبعذك ، لم أجد بدا من تنميق يزدان به الحديث و إصلاح يحسن معه المغزى ، و تكلف يبلغ بالمراد الغاية" ³.

يتأكد لنا من خلال هذه الشواهد المسافة الكبيرة بين الشفاهي و ما يستدعيه و الكتابي وما يتطلبه وقد وعى التوحيدي هذا الفرق و هذا ما جعله كاتباً حقيقياً يمتلك ناصية اللسان امتلاكه ناصية القلم ، إلا أن هذا لم يمنعه من إختراع أشياء لم تحدث يقول أحمد

¹ - أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة ج2، ص293

² - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

³ - المصدر نفسه ، ج3، ص299

أمين" ولست أستبعد أن كون احمد أمين قد تزيد فيه ، و اخترع أشياء لم تجر في مجلس الوزير فقد عرف عنه أمثلة من هذا القبيل ، فقد اتمه العلماء من قبل و منهم ابن أبي الحديد بأنه وضع الرسالة المشهورة المعزوة إلى أبي عبيدة على لسان أبي بكر و عمر في حق علي بن أبي طالب و لعل هذا التزيد كان من بين الأسباب التي دعته أن يرجو أبا الوفاء أن يكون الكتاب في حياة الوزير وخشي أن الوزير يطلع عليه فيعلم مقدار ما تزيد¹.

و نعثر في نصوص الإمتاع و المؤانسة ما يؤيد هذا الرأي حيث نجد التوحيد يقول في مقدمة الجزء الثاني " و أنا أسألك ثانية عن طريق التوكيد كما سألتك عن طريق الإقتراح أن تكون هذه الرسالة مصونة من عيون الحاسدين العيابين ، بعيدة عن تناول أيدي المفسدين المنافسين ، فليس كل قائل يسلم ، ولا كل سامع ينصف ولا كل متوسط يصلح ، ولا كل قادم يفسح له في المجلس عند القدوم"².

إن هذا الإصرار على إخفاء نصوص الإمتاع و المؤانسة يوحي بأن التوحيد قد إستزاد و أضاف أحاديث لم تجري في مجلس الوزير و خاف على نفسه من عقاب الوزير لذلك طلب من أبي الوفاء إخفاءها حفاظا على مكانته .

إن التغييرات التي طرأت على الخطاب حين انتقاله من وضعية المشافهة إلى وضعية الكتابة صحبتها تغييرات على مستوى المتلقي حيث تم الانتقال من الحديث عن متلقي مستمع إلى متلقي قارئ.

¹ - أبو حيان التوحيد ، الإمتاع و المؤانسة ، مقدمة احمد أمين ص ص ، ع ، ف.

² - المصدر نفسه ، ج2 ، ص 161

فإذا كان الخطاب المنطوق يتجه إلى شخص محدد وهو المخاطب و المتمثل في شخص الوزير ابن العارض ، فإن الخطاب المكتوب يتجه إلى قارئ قد يكون معلوما أو مجهولا ، أما القارئ المعلوم أو القارئ الأول هو أبو الوفاء المهندس ، والقارئ الثاني مجهول يتعدد مع مرور الأجيال و يمكن القول أنه كل شخص يعرف القراءة .

2. مفهوم السرد التوحيدي:

جاء في لسان العرب السرد في اللغة مقدمة شيء إلى تأتي به متسقا بعضه في إثر بعض متتابعا . سرد الحديث و نحوه يسرده سردا إذا تابعه ، وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيد السياق له ، وفي صفة كلامه صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث سردا أي يتابعه ويستعجل فيه ، والدروع مسرود ومسرودة.....وقيل سردها نسجها وهو تداخل الخلق بعضها في بعض¹.

من خلال هذا التعريف نقف عند أهم دلالات لفظة السرد : الإتساق ، التتابع ، جودة السياق ، النسج ، الترابط ، ونجد مصطلح السرد يتفق مع مصطلح القص في هذه الدلالات يقول ابن منظور في مادة قصص "يقال قصصت الشيء غدت تتبعته أثره شيئا بعد شيء و منه قوله تعالى (وقالت لأمه قصيه) أي إتبعي أثره (.....) و القصة الخبر و هو القصص و قص عليا خبره يقصه قصا و قصصا أورده و القصص الخبر المقصوص (.....) و القصص بكسر القاف جمع القصة التي تكتب ، القص القطع أو تتبع الأثر (....) و تقصص الخبر تتبعه ، والقصة الأمر والحديث (....) والقص البيان (...) والقص الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها و ألفاظها (...) وقيل القاص يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سوقا....."².

¹ _ ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت 1195 ج3 ص 211

² _ المصدر نفسه ، ج7 ص 74،75

من هنا نجد أن السرد و القص يشتركان في الدلالة على تتابع الحديث و الأخبار كما يشتركان في دلالتهما على الجودة و الترابط و النسج فهما يقفان عند طبيعة النص السردى الذي ينبغي أن يتسم بالترابط و التتابع و التواشج المنطقي بين أجزائه كما ينبغي أن يتوفر على القدرة البيانية و الجودة في السياق حتى يؤدي وظيفته الإبداعية و الجمالية.

وعلى هذا الأساس يمكن تعريف السرد على أنه " اللغة المكتوبة أو المروية شفاها التي ينبغي أن تتسم بالترابط و الإتساق و التواشج بين أجزائها لأنها تنقل حدثا أو مجموعة أحداث متعلقة بشخصيات أو بشخص واحد من صورتها الواقعية أو الخيالية إلى صورتها اللغوية ، شريطة أن توفر الجودة و البيان في الأسلوب اللغوي الذي يجسد تلك الأحداث و يصور الشخصيات "1.

وقد يتعدى السرد اللغة الشفاهية أو المكتوبة إلى أبعاد أخرى كالصورة والحركة ، يقول بارث "يمكن أن يؤدي الحكى بواسطة اللغة المستعملة شفاهية كانت أو كتابية و بواسطة الصورة ثابتة أو متحركة و بالحركة و بواسطة الإمتزاج المنظم لكل هذه المواد ، إنه حاضر في الأسطورة و الخرافة و الأمثلة و الحكاية و القصة ، والملحمة والتاريخ و الماساة والدراما و الملهاة ، والإيماء و اللوحة المرسومة و في الزجاج المزوق و السينما و الأنشطة و المنوعات و المحادثات"2.

وعلى الرغم من كون السرد حديث النشأة إلا أن مصطلح السرد لم يظهر إلا في سنة

¹ _ محمد أحمد مسعود ، كتابات معاصرة ، مجلة الإبداع و العلوم الإنسانية ، مجلد 5 عدد 20 كانون الأول 1113 كانون

الثاني 1114

² _ سعيد يقطين ، الكلام والخير ص 11.

1969 على يد تودوروف حيث عرف السرد بأنه " وسيلة توصيل القصة إلى المستمع أو القارئ بقيام وسيط بين الشخصيات و المتلقي هو الراوي"¹.

إن عملية توصيل الأفعال السردية تنتظم في إطار سلاسل تطول أو تقصر حسب طول الحكاية ، يقوم بها سارد أو راوي من خلال زاوية نظر يختارها حتى أصبح شخصية ناقدة لا تكتفي بنقل الأحداث فقط بل تقوم بعرض رؤيتها للأحداث من أجل التأثير فتحقق بذلك أدبية العمل الأدبي وتتعدد مستويات تلقيه ، ومن ثم أمكن القول أن السرد " هو الطريقة التي يختارها الراوي أو القاص أو حتى المبدع الشعبي (الحاكي) ليقدم بها الحديث إلى المتلقي فكأن السرد إذن هو نسيج الكلام ولكن في صورة حكي و بهذا يعود السرد إلى معناه القديم حيث تميل المعاجم إلى تقديمه بمعنى النسيج أيضا"².

وإذا رجعنا إلى كتاب الإمتاع و المؤانسة نجد أن التوحيدي يستعمل لفظة السرد للدلالة على المكونات التي سبق و أن إستخلصناها من المعنى المعجمي للسرد (الإتساق ، التتابع ، الترابط.....) فقد ربط التوحيدي مفهوم السرد بالقص و طقوسه.

يقول التوحيدي في حديثه عن مضمون كتابه " ... وسردت في حواشيه أعيان الأحاديث التي خدمت بها مجلس الوزير و لم آل جهدا في روايتها و تقويمها"³

وقد ركز على مصطلح السرد للدلالة على الطريقة التي كان يدور بها الحديث داخل المجلس ومن جهة ثانية فهو يركز على ضرورة إتقان النص السردى المكتوب من أجل أن يؤدي الدور المنوط به على أكمل وجه فيحصل بذلك توصيل المعنى.

¹ _ ناهضة عبد الستار ، بنية السرد في القصص الصوفي ، المكونات والوظائف و التقنيات ص

² _ آمنة بلعلی ، تقنيات السرد، ص

³ _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ، ج1، ص

و يقول في حديث عن أبي سليمان المنطقي "هذا منتهى كلامه على ما علقه الحفظ و لفته الذهن و لو كان مؤخوذا عنه بالإملاء لكان أقوم وأحكم و لكن السرد باللسان لا يأتي على جميع الأماكن في كل مكان"¹

فالتوحيدي هنا يوظف مصطلح السرد للدلالة على الحكيم و القص والإخبار مشافهة ويؤكد على عدم قدرة النص على استيعاب و حفظ كل ما يرد عليه من حديث شفهي لذلك يرى أن اللغة المكتوبة لها القدرة على توصيل المعنى المقصود و من ثم فهو يفضل الخطاب المكتوب عن الخطاب الشفوي.

يرتبط السرد التوحيدي برواية الحديث متسقا مترابطا ، وقد حرص على ضرورة إتقان الخطاب المكتوب حتى يكون الإبلاغ صحيحا ، كما يرتبط أيضا بالحديث الذي يتسم بالإتقان وهو أساس العملية السردية " هذا كله سردناه لسبب الأمر الذي يبدو من غير جنان و العارض الذي يبرز من غير توهم"².

لم يكتف التوحيدي بلفظ السرد ، فيستخدم القصة للدلالة على سرد الأحاديث التي كانت تجري في المجالس العلمية يقول مخاطبا أبا الوفاء المهندس " ثم إني أيها الشيخ _ أحياءك الله لأهل العلم وأحيا بك طالبيه _ ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح جعفر بن الفرات بن أبي سعيد السيرافي و أبي بشير متي واختصرتها ، فقال لي أكتب هذه المناظرة على التمام فإن شيئا يجري في ذلك المجلس النبیه بين هذين الشخصين بحضرة أولئك الأعلام ينبغي أن يغتم سماعه و توعى فوائده ، ولا

¹ _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ، ج3 ، ص377

² _ المصدر نفسه ، ج2 ، ص265

يتهاون بشيء منه ، فكتبت : حدثني أبو سعيد بلمع من هذه القصة ، فأما علي بن عيسى الشيخ الصالح فإنه رواها مشروحة¹

ويقول في آخر المحاوره "هذا آخر ما كتبت عن علي بن عيسى الرماني الشيخ الصالح بإملائه ، وكان أبو سعيد قد روى لعا من هذه القصة"².

ويستخدم لفظه الحكاية للدلالة على المعنى نفسه يقول " وقد حكيت هذا لأبي زكريا الصيمري فطوب وإرتاح وقال : ما أبعد نظر هذا الرجل !وما أرقى لحظه وما أعز جانبه"³

كما يستخدم لفظه الحديث للدلالة على إتصاله بصاحب الخبر يقول " حدثنا أبو السائب القاضي عتبه بن عبيد قال : حدثنا محمد بن المرزبان قال حدثنا المغيرة قال : حدثنا محمد بن العباس المنقري قال : كان شريك ابن عبد الله على القضاء بالكوفة..."⁴

وتكشف لفظه حدثنا عن أن مصدر الحكيم شخص آخر قد يعكس جانب الصحة أو غير ذلك .

3. مكونات السرد التوحيدي:

من خلال تصفح نصوص الإمتاع والمؤانسة نلاحظ أن التوحيدي قد إعتد على أساليب مختلفة من المحادثة كان الغرض منها تحقيق التواصل و إرضاء رغبة ابن العارض.

¹ _ أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ج 1 ، ص 92

² _ المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 14

³ _ المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 215

⁴ _ المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 226

1.3. الخبر:

يعد الخبر من المكونات الأساسية للسرد التوحيدي "والخبر ما أتاك من نبأ عمن تستخبر (...) و الخبر: النبأ ، والجمع أخبار (...) وخبره بكذا و أخبره : نبأه و استخبره : سأله عن الخبر وطلب أن يخبره ... تخبر الخبر واستخبره إذا سأل عن الأخبار ليعرفها و أخبره خبره.: أنبأه ما عنده ... و المخبر خلاف المنظر"¹.

و الخبر هو النبأ أو القول الذي يفيد المتلقي و هو بمثابة المشاهد وهنا يمكن الإشارة إلى علاقة الخبر بنقل الحدث والفعل إذ يقوم الخبر برصد الأحداث و الأفعال التي تصدر عن الشخصيات ، ويشترط في الخبر أن يتسم بالصدق في نقله للأحداث يقول التوحيدي " و ظاهر ما يرى بالعيان مفض إلى باطن ما يصدق عنه الخبر"².

إن الخبر يمثل صورة الواقع عبر اللغة ، غير أنه في كثير من الأحيان يتأثر برأي الفنان ونظرتة لهذا الواقع ونجد التوحيدي يشير إلى العلاقة بين الخبر والواقع يقول: "ليس الخبر كالمعينة ، والمسموع و المبصر كالأنثى و الذكر يترع كل واحد منهما إلى تمامه"³.

تتجسد العلاقة بين الخبر والواقع في كون الخبر يرصد الواقع عن طريق اللغة المكتوبة أو المسموعة ، حيث يقوم الخبر بتصوير الواقع عن طريق الآليات اللغوية المكتوبة كالإستعارة والوصف و الحوار.....

إن هذه الآليات هي التي تجعل الخبر ينتقل من التقريرية والمباشرة ويتسم بالتنوع و جمال الأسلوب.

¹ _ ابن منظور ، لسان العرب ج،ص

² _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤنسة، ج1، ص1

³ _ المصدر نفسه ، ص 137

يمثل الخبر أصغر وحدة حكاية ، وتميزه عن الحكاية بكون مركز التوجيه فيه يتمحور حول الفعل (الحدث) فهو يشتمل على قص حدث أو أحداث أو فعل أو أفعال حقيقية كانت أم خيالية.

يتسم الخبر في الإمتاع و المؤانسة بالإيجاز و التكثيف ما نجده في ملححة الوداع التي قدمت في نهاية الليلة الأولى.

"حدثنا ابن سيف الكاتب الراوية قال رأيت جحظة قد دعا بناء ليبي حائطا فحضر بنا ، فلما أمسى إقتضى البناء الأجرة ، فتماسكا وذلك أن الرجل طلب عشرين درهما فقال جحظة إنما عملت يا هذا نصف يوم و تطلب عشرين درهما ؟ قال أنت لا تدري ، إني قد بنيت لك حائطا يبقى مائة سنة ، فيينما هما كذلك وجب الحائط وسقط ، فقال جحظة ، هذا عملك الحسن ؟ قال ، فأردت أن يبقى ألف سنة قال: لا ولكن لا يبقى إلا أن تستوفي أجرتك _ فضحك _ أضحك الله سنه"¹.

- جحظة يدعو بناء ليبي له حائطا .
- في المساء يطلب البناء عشرين درهما .
- يستكثر جحظة الثمن .
- أ_ عمل نصف يوم لا يساوي الثمن .
- البناء يرى الثمن مناسبا .
- ب_ الحائط يبقى مائة سنة .
- سقوط الحائط .

¹ _ أبو حيان التوحيدى، الإمتاع و المؤانسة ، ج1 ص 29

● لحظة يسخر من عمل البناء الذي انهار بناؤه قبل حصوله على ثمن أتباعه .
يتمركز الخبر على "الحدث" بناء الحائط وكل ما دار بين البناء و صاحب الحائط من خصام هو حول الحائط في حد ذاته ، وحين نعتبر الخبر أصغر وحدة حكائية فلكونه غير قابل لأن يحذف منه أي مقطع من مقاطعه .

يتشكل الخبر في هذا النص من ترادف جمل خبرية ترصد أفعال الشخصيات و تتقصى الحدث و تتابع هذه الجمل و تتربط عبر الأفعال التي تخبرنا بالحدث و تشكل لوحة سردية بطريقة فنية و ترتبط هذه الجمل بأدوات الوصل (الفاء) التي جعلت الحدث أكثر ترابطا و تماسكا.

و عادة ما يتصل الإخبار بالزمن الماضي و الصوت غير المباشر يقول التوحيدي "ولقد حكى أبو الحسن الفرضي في أمر الإتفاق شيئا ظريفا عن بعض إخوانه قال: خرجنا إلى بعض المنتزهات ومعنا جر نصيد به السماني ، وكنا جماعة فقال حدث كان معنا وكان أصغرنا سنا أنتم تصيدون بجر وأنا أصيد بيدي يقول ذلك على جهة المزح ، فرمى بعد قليل فاتفق له أن أثار سماني، فأسرع إليه و نحن نعلم أنه أخذ شيئا فقلنا له عن طريق العبث :إحذر الخنزير من غير أن تكون رأينا خنزيرا فالتفت فرعا وفر موليا ، فاتفق له أن رأى خنزيرا منه غير بعيد ، فأقبل إلينا مسرعا هاربا من الخنزير والسماني بيده وقد صاده"¹.

من خلال هذه الأمثلة المستقاة يمكن أن نلاحظ أن أنواع الخبر المتضمنة لا تخرج عن الأنواع الخبرية البسيطة التي تعتمد الإيجاز والقصر.

¹ _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ، ج2، ص 262

2.3. الحوار:

بالإضافة إلى الخبر يشكل الحوار عنصرا مهما من عناصر السرد التوحيدي ويعتمد الحوار على تقنيات و أساليب مختلفة ليصل إلى الغرض المقصود منه وهو إرضاء رغبة المتلقي و تبليغ الرسالة ، ومن بين التقنيات التي يعتمد عليها السؤال و التعليق كما يعتمد على أسلوب الرواية و الإسناد.

جاء في لسان العرب "الخور: الرجوع من الشيء إلى الشيء ، حار إلى الشيء وعنه حورا ومحارا ... رجع عنه و إليه ، وأحار عليه جوابه ، رده و أحرته له جوابا وما أحر بكلمة والوسم من المحاوراة الحوير ، نقول سمعت حويرهما و حوارهما ، والمحاوراة المجاوبة و التحوار التجاوب...و هم يتحاورون أي يتراجعون الكلام ... و أصل التحرير في اللغة من حار يحور، وهو الرجوع و التحوير الترجيع"¹

من خلال هذا التعريف يتبين أن مفهوم الحوار لا تخرج عن الرجوع و المجاوبة و الرد . و بالعودة إلى نصوص الإمتاع والمؤانسة نجد الحوار يشكل عنصرا هاما من عناصر السرد التوحيدي طرفاه الرئيسيان ابن العارض و التوحيدي ، الأول يسأل و الثاني يجيب إلى أن يحصل الفهم عن طريق التنويع في الأساليب الخطابية.

أ_ السؤال:

تعد الليلة الأولى من ليالي الإمتاع و المؤانسة ليلة وظيفية ، ففيها تم وضع شروط الحديث بين أبي حيان التوحيدي و ابن العارض و منذ الوهلة الأولى تظهر تقنية السؤال و الجواب التي تخلق نوعا من التنامي الحوارية في ليالي الإمتاع والمؤانسة

¹ _ ابن منظور ، لسان العرب ، ج4 ، صص 219، 220

يقول التوحيدى " وصلت أيها الشيخ أطال الله حياتك ، أول ليلة إلى مجلس الوزير أعز الله نصره (...) فأمرني بالجلوس (...) ثم قال بلسانه الذليق ، ولفظه الأنيق ، قد سألت عنك مرات شيخنا أبا الوفاء فذكرت أنك مراعى لأمر البيمرستان من جهة و أنا أربأبك عن ذلك ، ولعلي أعرفك لشيء أنه من هذا و أجدى ، ولهذا فقد تآقت نفسي إلى حضورك للمحادثة و التأنيس، ولأتعرف منك أشياء كثيرة مختلفة تردد في نفسي على مر الزمان ، ولا أحصيها لك في هذا الوقت لكني أنشرها في المجلس بعد المجلس على قدر ما يسنح ويعرض ، فأجبنى عن ذلك باسترسال وسكون بال بملء فيكوجم خاطرک و حاضر علمک (...) مع عفو لفظك وزائد رأيك ، و ربح ذهنك (...) و أجزم إذا قلت ، وبالغ إذا وصفت وأصدق إذا أسندت ، وأفصل إذا حكمت ، إلا إذا عرض لك ما يوجب توقفا أو تماديا (...) وكن على بصيرة أبنى سأستدل مما أسمعك منك في جوابك عما أسألك عنه على صدقك وخلافه وعلى تحريفك و قرافه" ¹

من خلال هذا النص تتضح أسس الحوار بين أبي حيان و ابن العارض ، يقوم ابن العارض بعرض مجموعة من الانشغالات على أبي حيان كل ليلة و على التوحيدى أن يجيب عنها باسترسال وسكون بال وذلك عن طريق تدعيم أحاديثه بالإسناد لأن الوزير سيستدل من جوابه عن صدقه أو كذبه .

ويستمر ابن العارض في طرح أسئلته على أبي حيان يقول "ما الفرق بين الحادث و المحدث و الحديث" ² ، ويجيب التوحيدى قائلا " فكان من الجواب أن الحادث ما

¹ _ أبو حيان التوحيدى، الإمتاع و المؤانسة ، ج1، صص، 22، 23

² _ المصدر نفسه ، ج1، ص 26

يلحظ نفسه ، و المحدث ما يلحظ مع تعلق بالذي كان عنه محدثا والحديث كالمتوسط بينهما مع تعلق بالزمان و من كان منه"¹ .

إن السؤال يستلزم جوابا و من ثم فهو يحفز على استمرار الحديث ، و ليكون الحديث أكثر صدقا على السارد أن يعتمد على أسلوب الرواية و الإسناد.

يظهر منذ الليلة الأولى أن الوزير ابن العارض هو الموجه الرئيسي للحوار و الحديث فهو الذي يشرع في الحوار بافتتاح الجلسات بالسؤال يقول "أول ما أسألك عنه حديث أبي سليمان المنطقي كيف كان كلامه فينا و كيف كان رضاه عنا ورجاؤه بنا، فقد بلغني أنك جاره ومعاشره ، وصديقه ، وملازمه وقافي خطوه و أثره و حافظ غاية خبره"² .

فمساهمة الوزير في طرح الأسئلة على التوحيدي تمثل جانبا من جوانب الحوار (السؤال) و الجانب الثاني يتمثل في (الجواب) حين يأخذ التوحيدي الدور في بداية الجلسات إستجابة لطلب الوزير و أوامره بالإجابة ، قال لي ليلة أخرى (أي الوزير) " ألا تتم ما كنا به بدأنا ، فقلت بلى"³ .

لقد كان السؤال محفزا على الإسترسال في تشكيل طقس المؤانسة كما كان له دور في ربط الحوار بعد إنقطاعه عند إنقضاء الليل و عند العودة مرة أخرى كان السؤال فاتحة المجلس وبه تم وصل ما انقطع من حديث "ألا تتم ما كنا به بدأنا"، وهكذا يتم ربط الليالي بعضها ببعض و يحفز السارد على مواصلة حديثه .

¹ _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ، ج1، ص26.

² _ المصدر نفسه ، ج1، ص21

³ _ المصدر نفسه، ج1، ص54

يلجأ ابن العارض في كثير من الأحيان إلى السؤال لمعرفة أحداث أو أخبار بعض الشخصيات لكنه أحياناً أخرى يلجأ إلى السؤال من أجل إطالة المتعة يقول " فكيف يتم له ما هو فيه مع هذه الصفات التي تذكرها"¹.

وقد يكون السؤال جزءاً من أجزاء الأحداث التي يسردها السارد وتكمن وظيفته في ربط الأحداث بعضها ببعض ، كما قد يكون السؤال جزءاً من حوار بسيط يتم عبر السؤال والجواب.

ب_التعليق:

بالإضافة إلى السؤال يعتمد التوحيدي تقنية أخرى من تقنيات الحوار وهي التعليق حيث يلجأ ابن العارض إلى التعليق على حديث التوحيدي وقد يكون التعليق مدحاً أو يكون نقداً لاذعاً وهذا ما يدفع التوحيدي إلى الرد و التوضيح و الإسترسال في الحديث والسرد.

والتعليق يجعل الوزير ابن العارض مشاركاً في عملية السرد عن طريق تبادل الحديث مع السارد كما يحفز السارد على الإستمرار في الحكيم.

ويمكن أن نستدل على حضور التلقي في نصوص التوحيدي بالأمثلة التالية:

يقول ابن العارض " ما أحسن ما قال ابن المقفع و ما أحسن ما قصصته و ما آتيت به ! هات الآن ما عندك من مسموع مستنبط "².

ويعلق الوزير في موضع آخر قائلاً " هذا كلام شريف في أعلى ذروة الحكمة لكنك خلقت يدك من طرف الحديث في الخلق ، قلت إذا طاب الحديث باسترسال السجية

¹ _ أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة ، ج1، ص55

² _ المصدر نفسه ، ج1 ص59

ووقوع الطمأنينة لها تخلى الإنسان عن مبادئه وسال مع الخاطر الذي يستهويه و لتحفظ الإنسان في قوله وعمله من الخطل والزلل حد إذا بلغه كل الخاطر و اختل" ¹.

في أحيان كثيرة يدفع تعليق الوزير بالتوحيدي إلى الرد والتوضيح " قال الوزير ما أعجبنى من جمع هذا الكلام إلا من أبي سليمان في هذا الإستحقار و التغضب و الإحتشاد و التعصب و هو رجل يعرف بالمنطقي وهو من غلمان محي بن عدي النصراني ، ويقراً عليه كتب يونان و تفسير دقائق كتبهم بغاية البيان" ².

ويستمر الوزير بالتعليق على ما يدور من حديث بينه وبين التوحيدي حول أبي سليمان المنطقي متحصراً في الوقت نفسه لأنه كان يتمنى لقاءه و الإجتماع به لتكون الإفادة أكثر يقول الوزير"قد بان الغرض الذي رمى إليه تقليبه بالجدل لا يزيده إلا إغلاقاً ،والقصد معروف ، والوقوف عليه كاف ومع هذا فليت حظنا منه كان يتوفر بالتلاقي و الإجتماع ، لا بالرواية و السماع" ³.

وقد يسهم التعليق في أحيان كثيرة في رسم صورة شخصية من الشخصيات التي يدور حولها الحوار ،يقول عن الحاتمي"هذا حسن لو أتى به الحاتمي للوى شدقه وقال : تنح فقد جاء الأسد و غلب الطوفان وخرج الدجال و طلعت الشمس من المغرب ،

¹ _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ،ج1، ص 107

² _ المصدر نفسه، ج2، ص 175

³ _ المصدر نفسه، ج2، ص 175

مابال أصحابنا تعترتهم هذه الخلاء ، و يغلب عليهم النقص ويتمكن منهم الشيطان "1.

من هنا يمكن القول أن التعليق يغني السرد ،فهو يشكل بعدا من أبعاد الحوار الذي يتطلب أساسا مرسلا و متلقيا يشتركان في تكوين طقس المؤانسة.

ج_ الرواية:

أكد التوحيدى على أهمية الرواية باعتبارها سمة مكونة لطقس المؤانسة يقول على لسان أبي الوفاء المهندس " إن الإستماع في الرواية أشفى للغليل و الشرح للحال أبلغ إلى الغاية و أظفر للمراد وأجرى على العادة"2.

إعتمد التوحيدى في جوابه على أسئلة ابن العارض على نوعين من الرواية ، الرواية المباشرة ، حيث يروي السارد عن نفسه وإنطلاقا من رؤيته و تصوراته للأحداث و الرواية التي يروي فيها عن غيره ليمتع متلقيه و يشكل نصوص الإمتاع و المؤانسة . وقد تعددت أشكال الرواية في الإمتاع و المؤانسة تبعا للموضوع و تبعا للشخصية التي يروي عنها التوحيدى فتعددت أسماء الرواة .

لقد روى التوحيدى عن غيره ليدعم سرده ويؤكد مصداقيته المشكوك فيها فتشكلت من خلال هذه الروايات المختلفة أنواع أدبية متنوعة ، وقد حظي الفلاسفة بالنصيب الأكبر من رواية التوحيدى إلى جانب رواة الأخبار و اللغويين ، و بالإضافة إلى سمة التنوع تظهر سمة أخرى وهي سمة الإيهام وهذا ما يتبين من خلال قول الوزير "قرأت ما دونه الصابي أبو إسحاق في التاجي فما وجدت هذا الحديث فيه ، قلت لعله لم يقع إليه

1 _ أبو حيان التوحيدى، الإمتاع و المؤانسة، ج3 ص367

2 _ المصدر نفسه، ج1، ص 16

أو لعله لم يرى التطويل ، أو لعله لم يستخف ذكر عز الدولة على هذا الوجه قال :
هذا ممكن فهل سمعت في أيام الفتنة بغريبة"¹.

من خلال هذا النص يتبين أن رواية التوحيد مشكوك فيها و قد إعتمدها وسيلة إيهامية محاولا إغناء الحديث و إعطاء مصداقية لمحاوراته مع أبي الوفاء ، كما أنه كان في أحيان كثيرة يحاول تمرير بعض آراءه الصريحة و نسبتها إلى غيره من أساتذته خوفا من غضب الوزير لأن بعض الأفكار التي كان يطرحها كانت تتعارض و أفكار الوزير فكان لا بد أن ينسبها لغيره و يرويها على لسان فلاسفة و أدباء حتى يتفادى غضب الوزير من جهة و يستطيع طرح أفكاره و مناقشتها بحرية من جهة أخرى.

و المتأمل لكثير من هذه الروايات يجدها تتلون بأسلوب أبي حيان و أفكاره و تعبيراته مما يدل أنها صادرة عنه ، والغرض منها إما التخفي بسبب الخوف و إما شد إنتباه المتلقي (الوزير) حتى إننا نجد أغلب الليالي تخلو من الحديث المرسل الذي لا يسند إلى آخر ، وبذلك أخذت الرواية النصيب الأكبر في سرد أبي حيان التوحيدي لأنها كانت تهدف إلى الإيهام بصدق المرسل كما يراد من خلالها التنويع الأسلوبي في إطار الحوار فتشكلت بذلك ليالي الإمتاع و المؤانسة إلا أن الرواية غالبا ما تتشكل من خلال أسلوب واحد متشابه ولا يظهر الإختلاف إلا من خلال المضمون ، أما الأسلوب العام فيتشكل إنطلاقا من أسلوب الراوي المهيمن.

¹ - أبو حيان التوحيدي، لإمتاع والمؤانسة ، ج3، ص396

د_ الإسناد:

إتصل الإسناد في بداية الأمر بالحديث النبوي الشريف فقد كان "السبيل الوحيد للثبوت من صحة انتساب الحديث إلى الرسول لذا فقد اكتسبت سمعة دينية شأن الحديث لمجاورته له و تعلقه و مثلما عني بالمتن كونه يصدر عن الرسول عني بالسند لأنه حامل له"¹.

ومع مرور الوقت صار الإسناد جزءاً من تقاليد البنية الثقافية ، ولم يعد يقصد من وراءه تحقيق المعرفة بقدر ما صار مظهراً تفرض العادة وتقاليد الرواية وجوده. وقد اعتمد التوحيدي في أحاديثه على الاسناد حاول إبراز أهميته منذ الوهلة الأولى ، يقول على لسان أبي الوفاء المهندس " وليكن الحديث على تباعد أطرافه واختلاف فنونه مشروحا و الاسناد عاليا متصلا ، والمتن تاما بينا واللفظ خفيفا لطيفا و التصريح غالبا متصدرا"².

و إذا كان التوحيدي قد وظف الرواية للإيهام بصدق المرسل فالإسناد كذلك جاء ليؤكد مصداقية المرسل إلا أنه كما كانت الرواية مشكوكا فيها فالإسناد كذلك قد يكون مشكوكا في صحته ومما يؤكد هذا الطرح أن التوحيدي لم يكن يحفل بالسند فأتت جل أحاديثه بدون سند و إذا أسند فإنه يروي عن أشخاص معدودين لا يتعداهم إلى غيرهم.

ومن الأمثلة على الإسناد مايلي " قال ابن الكلبي حدثني الحكم بن هشام الثقفي قال: مات عبيد الله ابن جحش عن أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت معه بأرض الحبشة

¹ _ عبد الله إبراهيم ، السردية العربية ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ص 52

² _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ج1، ص 11

فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي فدعا بالقريتين فقال من أولاكم بأمر هذه المرأة؟ فقال خالد بن سعيد بن العاص أنا أولاهم بها"¹.

و في موضع آخر يقول " قال حماد الراوية عن قتادة : قال زياد لغيلان بن خرشه أحب أن تحدثني عن العرب وجهدها و ضنك عيشها لنحمد الله على النعمة التي أصبحنا بها، فقال غيلان :حدثني عمي قال....."²

4_ مصادر الحديث لدى التوحيدى:

إن المادة المطروحة من خلال كتاب الإمتاع والمؤانسة تنم عن ثقافة واسعة يتمتع بها السارد المتمثل في شخص أبي حيان التوحيدى والمتلقي و المتمثل في شخص ابن العارض كل منهما عاش ظروفًا إجتماعية و مادية مختلفة مكنته من تكوين شخصيته و غزارة معارفه ، فكان لكل منهما مخزونه الكافي الذي ساعده على أن يكون عضوا فاعلا في إنتاج ليالي الإمتاع و المؤانسة و بالرغم من ثقافة ابن العارض إلا أن كان يحاول أن يستزيد علما و معرفة من خلال محاوراته مع أبي حيان ، و في المقابل لم يبخل أبو حيان بمداه بمختلف المعارف فكانت أسئلة الوزير بمثابة المحفز إلى الخوض في مواضيع شتى منها اللغوية و الفلسفية و الدينية و المعرفية.

من خلال مواضيع الإمتاع و المؤانسة و طبيعة الأسئلة التي كانت تطرح يمكن أن نتبين مصادر التوحيدى:

¹ _ أبو حيان التوحيدى، الإمتاع و المؤانسة ، ج2، ص 201

² _ المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 331

4_1_ الذاکرة:

تمثل الذاکرة مصدرا مهما من مصادر المعرفة لدى التوحیدی فقد كان يعتمد علیها كثيرا في الإجابة علی أسئلة ابن العارض من خلال ما یرویه عن مشاهداته وسماعاته من أفعال و أقوال تتصل بمختلف المشاكل و القضايا المعاصرة" وتتركز نظرية التذکر علی طريقة سقراط في البحث، وتعني التولید السقراطي المتمثل في البحث الجماعي بواسطة الحوار و هذا البحث یجر المخاطب علی أن یجد في نفسه الحقائق المطلوبة ، فالتولید طريقة تمكن المخاطب من الوعي بالمعرفة الكامنة في نفسه ، فالعلم تذکر، والجهل نسیان والتذکر یكشف لنا الحقائق التي یستطیع كل إنسان أن یجدها في نفسه كان یعرفها من قبل... و تتطلب عملية التذکر جهدا شینا فشینا... ولهذا فالتعلم تذکر"¹.

ونلاحظ قوة ذاکرة التوحیدی بالأخص في حديثه عن معاصریه من المثقفین و الكتاب و أصحاب المذاهب و الملل من خلال الدقة في الوصف و عمق في رصد ملامحهم النفسیة و العقلیة و العلمیة ، وهذا إن دل علی شيء فإنما یدل علی ذاکرة قوية لا تدع شینا إلا رصدته ولو بدا تافها و لیس ذا أهمية ما دامت له دلالة خاصة تسهم في تأثیر الموضوع المعروض یقول التوحیدی في وصف أبي الحسن الفلکی "و كان من أهل البصرة ، ووقع إلى المراغة ، ونواحيها وهو حسن الدیباجة رقیق حواشي اللفظ ، وهو أحدهم غربا، وأغزرهم سکبا ، وأبعدهم مناخا، وأعذبهم نقاخا، وأعطفهم للأول علی الآخر و أنشرهم للباطن من الظاهر"².

¹ _فتحی التریکی، أفلاطون و الیدیالکتیکیة، الدار التونسیة للنشر تونس، المؤسسة الوطنیة للکتاب الجزائر،

1196، ط2، ص190

² _أبو حیان التوحیدی ، الإمتاع والمؤانسة ، ج1، ص55

وتظهر جليا قوة الذاكرة لدى أبي حيان التوحيدي في الليلة الثامنة عند حديثه عن مذهب ابن يعيش في الرسالة التي كتبها إلى الملك السعيد سنة سبع وثلاثمائة يقول الوزير " هات _ على بركة الله _ فإني أحب أن أسمع في هذا الخطب كل ما فيه و أكثر ما يتصل به"¹.

فما كان من التوحيدي إلا أن يستدعي ذاكرته ليستحضر رسالة ابن يعيش و يناقش محتواها ثم ينتقل إلى الحديث عن مناظرة جرت في مجلس الفضل بن جعفر بن الفرات بن أبي سعيد السيرافي و أبي بشر متي ، و كعادته طلب منه الوزير معرفة تفاصيل هذه المناظرة يقول: " أكملت هذه المناظرة على التمام فإن شيئا يجري من ذلك المجلس النبیه بين هذين الشخصين بحضرة أولئك الأعلام ينبغي أن يغتنم سماعه وتوعى فوائده و لا يتهاون بشيء منه"².

2_4 _ الحافظة:

يزخر كتاب الإمتاع والمؤانسة بالكثير من الأقوال و الشواهد المنسوبة إلى أصحابها سواء كانت شعرا أو نثرا ، وهذا دليل على قوة الحافظة لديه ، إذ كان حريصا على نسبة الأقوال إلى أصحابها و نقلها نقلا صحيحا و ذلك من أجل إضفاء مصداقية أكبر على حديثه ، لأنه كلما كان الإسناد صحيحا كلما كانت نسبة الوثوق به وتصديقه أكبر.

ومن أمثلة ذلك ما نقله التوحيدي عن أبي سعيد يقول " فقال أبو سعيد معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ و سكناته ، وبين وضع الحروف من مواضعها المقتضية لها

¹ _ أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة ، ج1 ، ص90

² _ المصدر نفسه ، ج1 ، ص92

و بین تألیف الکلام و التقدیم و التأخیر و توخى الصواب فی ذلك و تجنب الخطأ من ذلك و إن زاغ شیء عن هذا النعت فإنه لا یخلو من أن یكون سائغا بالإستعمال النادر و التأویل البعید ، أو مردودا لخروجه من عادة القوم الجارية علی فطرتهم ، فأما ما یتعلق باختلاف لغات القبائل فذلك شیء مسلم لهم و مأخوذ عنهم و كل ذلك محصور بالتبع و الروایة و السماع و القیاس المطرد علی الأصل المعروف من غیر تحریف ، و إنما دخل العجب علی المنطقیین لظنهم و تكلفهم فترجموا لغة هم فیها ضعفاء ناقصون و جعلوا تلك الترجمة صناعة و ادعوا علی النحویین أنهم مع اللفظ لا مع المعنى¹.

وقد نقلنا هذا النص علی الرغم من طوله لنبین أن التوحیدی كانت لديه قدرة كبيرة علی الحفظ مكنته من نقل أقوال بدقة متناهية و نسبتها إلى أصحابها علی الرغم من طولها فی أحيان كثيرة.

لقد كانت إجاباته علی الكثير من أسئلة الوزير تقوم علی الحافظة عندما توجه إليه أسئلة و ليدة اللحظة ، یقول التوحیدی: "فلما عدت إلى المجلس قال : ما تحفظ من تفعال و تفعال؟ فقد إشتبها و فزعت إلى ابن عبید الكاتب فلم یکن عنده مقنع ، و ألقیت علی مسكویه فلم یکن له فیها مطلع و هذا دلیل علی دثور الأدب و بوار العلم و الإعراض عن الكدح فی طلبه"².

إلا أننا نجد فی أحيان أخرى یلجأ إلى التدوین لیسرد علی الوزير بعض الآراء و یؤكد أنه أفرد أوراقا و تلاها علی الوزير.

¹ _ أبو حیان التوحیدی، الإمتاع و المؤانسة ، ج 1، ص 10

² _ المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 163

يقول في الليلة الثالثة والعشرين " وكان الوزير رسم بكتابة لمع من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فأفردت ذلك في هذه الورقات"¹.

ويقول في ليلة أخرى "عدنا إلى ما كنا فيه من حديث المماحة ، و كان قد استزادني فكتبت له هذه الورقات و قراتها بين يديه"².

4_3_ المتصرف:

تمثل المتصرف المصدر الثالث من مصادر السرد لدى التوحيدي وقد عرفها الجرجاني بكونها " قوة ... من شأنها التصرف في الصور والمعاني و التركيب والتفصيل فتركب الصور بعضها ببعض ... وهذه القوة يستعملها العقل تارة والوهم أخرى وباعتبار الأول يسمى مفكرة لتصرفها في المواد الفكرية وباعتبار الثاني يسمى متخلية لتصرفها في الصور الخيالية"³.

وعلى هذا الأساس يمكن إعتبار المتصرف كل ما تعلق بأقوال التوحيدي و تعليقاته التي كانت حاضرة على طول الليالي مع غلبة الجانب العقلي على الجانب التخيلي.

من خلال المصادر التي إعتدتها التوحيدي في محاوراته مع ابن العارض تبرز لنا شخصيته التي تتم عن رجل مثقف إمتاز بذكاء وقدرة على الحفظ مكنته من الصمود أمام شغف ابن العارض اللامتناهي ورغبته في المعرفة وطلب العلم ، كما تبين لنا كذلك مميزات المثقف العربي في القرن الرابع الهجري ويتضح ذلك من خلال الكم الهائل من الأدباء و الفلاسفة الذين عاصروهم التوحيدي ونقل عنهم حيث وجدنا جل مثقفي القرن الرابع

¹ _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ، ج2 ، ص 221

² _ المصدر نفسه ، ج3 ، ص 331

³ _ سعيد يقطين ، السرد العربي مفاهيم وتجليات ، ص165

المجري يتميزون بقدرة كبيرة على الإستيعاب شكلت لديهم ذخيرة معرفية و مخزونات نصية تتسع لمختلف المعارف وفي مختلف الإختصاصات.

إن هذا المخزون الضخم قد استغرق زمنا طويلا وتطلب جهدا كبيرا من خلال ملازمة الطلاب لشيخوهم ، فسمعوا منهم وأخذوا عنهم ويتضح ذلك جليا عند أبي حيان من خلال ملازمته لشيخو وفلاسفة كأبي سعيد السيرافي و يحيى بن عدي وابن النديم وغيرهم، وهذا مامكنه بعد ذلك من استحضار ما عنده وعرضه في مجلس الوزير، فوصله إلى أعلى المراتب كان رهينا بقدرته على التحصيل ، وهذا ما جعل الطبقة المثقفة خلال القرن الرابع الهجري تتسم بطابع الموسوعية الذي يوضح الطابع الثقافي المؤسس على الشفاهية التي تجسد القيم المعرفية المتداولة في هذا القرن.

5. خصائص المروي في الإمتاع والمؤانسة:

شكلت الثقافة الموسوعية لدى التوحيدي، و التنوع المعرفي الذي كان يتمتع به تنوعا على المستوى المواضيع المسرودة فنجد الفلسفة ، المنطق و الأدب و الحكمة و الدين و النوادر و حكايات الجون لأن التوحيدي كان فيلسوفا ونحويا و شاعرا و فقيها ومعتزليا.

ومما زاد من تنوع مواضيع الليالي و توسيع النقاش و إثراء لقاءه بابن العارض الذي كان يتمتع بدوره بقدر كبير من المعرفة مما أهله لأن يكون ندا لأبي حيان فشكل الحوار و الجدل أسلوب من أساليب الحوار و حاول كل منهما فرض آراءه من خلال تقديم الحجج و الأدلة الكافية.

سلك التوحيد في مسامراته مسلك شهرزاد من حيث تقسيم الكتاب إلى ليال متتابعة لكن ما يميزه هو اختتامه بما أطلق عليه ملحة الوداع وهي عادة ما تكون حديثاً طريفاً يحتم به الجلسة عندما يشعر بالتعب والنعاس، ويستخدم ملحة الوداع بعبارات مختلفة تدل على معنى واحد وهو إختتام المجلس يقول في الليلة الأولى "هات ملحة الوداع حتى نفرق عنها ثم نأخذ ليلة أخرى في شجون الحديث"¹.

ويقول في الليلة الثانية " هذا في الحسن نهاية وقد اكتهل الليل وهذا يحتاج إلى بدء زمان و تفرغ وإصغاء جديد : هات خاتمة المجلس"².

ويقول في الليلة الخامسة " هذا قدر كاف إلى أن تبيض الرسالة هات ملحة الوداع"³.
ويقول في الليلة التاسعة والعشرين " هات حديثاً يكون مقطعا للوداع ، فإن الليل قد عبس وجهه و جنح كاهله ، وأهى إلى العين سنة تسوق الذهن وتسبي الرأي"⁴،
ويقول في الليلة الأربعين " هات ملحة المجلس"⁵.

لم ترد ملحة الوداع في كامل ليالي الإمتاع و المؤانسة إذ نجدها حاضرة في إثنتي

عشرة ليلة هي : 1،2،5،10،15،16،17،21،31،37،40:

وغابت في باقي الليالي: 3،4،6،7،9،11،12،13،14،19،11،20،21:

29،30،32،33،34،35،36،39،31، 22،23،24،25،26،27

¹ _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ، ج1، ص29

² _ المصدر نفسه، ص 36

³ _ المصدر نفسه ، ج1، ص56

⁴ _ المصدر نفسه ، ج2، ص294

⁵ _ المصدر نفسه ، ج 3، ص401

تنوعت مواضيع ملحمة الوداع بين جد وهزل ونظم ونثر ففي الليلة السابعة وردت ملحمة الوداع على شكل دعاء قال الوزير " قد جرى هذا أيضا على التمام ، أختتم مجلسنا بدعاء الصوفية ؟ فقال التوحيدي سمعت ابن سمعون يدعو في الجامع في آخر مجلسه فيقول : اللهم اجعل قولنا موصولا بالعمل وعملنا محققا للأمل ولا تضايقنا فيما تتحول به ، ونتقلب لك فيه، وكنف علينا بستر، وسوغنا برك، وألهمنا شكرك، وخفف على أفواهنا ذكرك ، واخصصنا بعد ذلك بما هو أليق بذلك ، اللهم اسمع واستجب، وقرب وانصرفت"¹.

أما ملحمة الشعر فنجدها في الليالي: 2،3،10،15،16.

قال الوزير في الليلة السادسة عشر " إن الليل قد دنا من فجره هات ملحمة الوداع ، قلت :

قال يعقوب صاحب (إصلاح المنطق)

دخل أعرابي الحمام فانشرح ، فأنشأ يقول :

وقالوا تطهر إنه يوم جمعة فرحت من الحمام غير مطهر

تردبت منه شارباً سج مرفقي بفلسين إني بئس ما كان متجري

وما يحسن الأعراب في السوق مشية فكيف بيت من رخام ومرمر

يقول لي الأنباط إذ أنا نازل به لا بظي بالصريمه أعفر

وقال : حرس الله نفسه كنت أروي قافية هذا البيت "أعفرا" وهذه فائدة كنت عنها في

ناحية ، وانصرفت"².

¹ _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة ، ج3 ، ص 371

² _ المصدر نفسه ، ج1، ص160

وملحة الجد نجدها في الليلة السابعة عشر عند حديثه عن علاقة الشريعة بالفلسفة قال الوزير " هات فائدة الوداع ، فقد بلغت في المؤانسة غاية الإمتاع"¹ فأجابه التوحيدى " أكره أن اختم مثل هذه الفقرة الشريفة بما يشبه الهزل وينافى الجد ، فإذا أذنت رويت ما يكون أساسا و دعامة لم تقدم فقال هات ما أحببت فما عهدنا من روايتك إلا ما يشوقنا إلى رؤيتك"².

وأطول ملحة جاءت في الليلة التاسعة والعشرين يقول الوزير " هات مقطعا فإن الليل قد عبس وجهه و جنح كاهله ، و أهدى إلى العين سنة تسرق الذهن وتسبي الرأي"³. فكان جواب التوحيدى حديثا طويلا عن فساد الناس وحوول الزمن ، وما داهم الخاص والعام في الدين و تأثر الوزير لسماعه هذا الحديث فقال " لقد شردت النوم من عيني و ملأت قلبي عجا "⁴.

شكلت ملحة الوداع خاتمة الحديث الليلي حيث كان الوزير يتدخل عندما يبلغ التوحيدى غايته في الاسترسال في الحديث في وقت متأخر من الليل فيطلب منه حينئذ إنهاءه بحديث طريف يكون منفصلا عما سبق الحديث فيه و بهذا يدفع الملل والتعب عن المستمع.

¹ _ أبو حيان التوحيدى، الإمتاع و المؤانسة ،ج1 ص 175

² _ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

³ _ المصدر نفسه ،ج2، ص 294

⁴ _ المصدر نفسه ، ج2، ص 295

6. الراوي:

يمثل الراوي عنصرا أساسيا في العملية السردية إذ عن طريقه يتم نقل الأحداث و توصيلها إلى القارئ أو المستمع ، والذي يوصف بأنه " الشخص الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها سواء كانت حقيقية أو متخيلة"¹ ، وهو وسيلة يستخدمها الراوي ليكشف عن عالم روايته² ، ويقوم بهذه المهمة السردية بطريقة موضوعية حتى وإن كان له رأي في تلك الحكاية و نهايتها، وهو " كائن قصصي غريب الأطوار تبهرك حكمته، ويأسرك لسانه وتثيرك خبرته و يأسرك ذكاهه .. ثم لم يلبث أن يزرع في قلبك الشك فتراه مخادعا مراوغا مزيفا ... الراوي كائن لعوب يصمم الشكل الهندسي ثم يطمسه ، يبني المعنى ثم يهدمه ، يصقل الصورة ثم يهرسها ، ينظم الذرات الزمنية ثم يعثرها ، يرتب المشاهد حسب منطق معين لا يلبث أن يطله في غفلة من الشخصيات ومنك...خطره محقق دائما ، ومع ذلك فإن أطرف نماذج الرواة و أرقاها هو من يجعلك لا تثق به"³

إعتبره بعض الباحثين شخصية من دم ولحم يأخذ القلم ليكتب قصة في حين فصله آخرون عن الكاتب الذي يخلق العالم القصصي و اعتبروه وسيلة من وسائل التعبير . و التصور الأخير فيذهب إلى أن الراوي كائن شاهد على قصة فيرويها ، ومما لاشك فيه فإن الراوي ليس الكاتب ، و عن تداخلت الشخصيات معا في بعض الأحيان.

¹ _ عبد الله إبراهيم ن السردية العربية، ص 11

² _ آمنة بلعلی ، تقنيات السرد في النظرية و التطبيق، ص 21

³ _ عبد الوهاب الرفيق ، هند بن صالح ، أدبية الرحلة في رسالة الغفران، دار محمد علي الحامي ، الجمهورية التونسية ، الطبعة

الأولى ، جانفي 1111 ص 37

وعلى الرغم من تعدد أنواع الرواة نلاحظ أن نصوص الإمتاع و المؤانسة اقتصرت على نوعين من الرواة : الراوي الغائب عن الحكاية التي يسردها و الراوي الحاضر في الرواية التي يسردها ، الأول الذي يروي حكاية غيره ويطلق عليه الراوي الغيري و نعني به الراوي الذي ينقل حكاية غيره و أحداثا هو غائب عنها ، و الثاني يحكي حكاية نفسه و يطلق عليها الراوي الذاتي لأنه يسرد أحداثا هو بطلها.

إستعان التوحيدي بشخصيات مختلفة في نصوصه ظهرها في أشكال مختلفة منهم ساردين أو متحدثين و ناقلين ورواة و قاصين و أصحاب ناذرة و مجون و مجانين يتباعدون عن غيرهم سلوكا و قولاً ولكن لكل منهم موقع في السرد وينتهجون الترسل و الحديث و الروي كغيرهم، هؤلاء الرواة سواء كانوا بدلاء عن أبي حيان أو ظهرها كشخصيات معاصرة أو متقدمة يكثر عنها الإخبار و النقل ، يشتغلون غالبا في الحوار و المجادلة ليكون السرد متتاليا على هذا الأساس ، حيث نستمع إلى أبي سليمان المنطقي أو أبو سعيد السيرافي منقولا عنهما يقول التوحيدي "و قد أملى علينا أبو سليمان كلاما في حديث النفس هذا موضعه ولا عذر في الإمساك عن ذكره ليكون مضمونا إلى غيره"¹.

" و حكي لنا أبو سليمان قال: قيل لفيلسوف ما نال المريض إذا داواه الطبيب و دخل عليه فرح و قبل منه و كافأه على ذلك ، و الجاهل لا يفعل ذلك بالعالم إذا علمه و بين له؟ فقال لأن المريض عالم بما عند الطبيب، و ليس الجاهل كذلك لأنه لا يعلم ما عند العالم"².

¹ _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة، ج1 ص142

² _ المصدر نفسه ، ج2 ، ص199

يقوم المروي هنا على أساس السؤال و الإجابة و المناقشة و الإضافة فتتعدد الأصوات وتكثر للتعبير عن طبيعة الحياة التي كانت تزخر بالمناقشات و الحوارات و ترسم صورة لشخصية الراوي نفسه المولع بالمناقشة والمشغول بالحديث.

يظهر التوحيدي أحيانا شخصية راوية وحاكيا و مشاركا في السرد يقول " وقد أحصينا _ ونحن جماعة من الكرخ _ أربعمئة و ستين جارية في الجانبين و مائة و عشرين حرة و خمسة و تسعين من الصبيان البدور، يجمعون بين الحذق و الحسن و الظرف و العشرة ، هذا سوى من كنا لا نظفر به ولا نصل إليه لعزته و حرسه و رقبائه و سوى ما كنا نسمعه ممن لا يتظافر بالفناء و بالضرب إلا إذا نشط في وقت أو ثمل في حال ، و خلع العذار في هوى قد حافه و أضناه و ترنم و أوقع ، وهز رأسه ، وصعد أنفاسه و أطرب جلاسه، و استكتمهم حاله ، وكشف عندهم حجابيه، و ادعى الثقة بهم ، و الإستنامة إلى حفاظهم"¹.

ينوع التوحيدي في طرائق سرده فمرة نجده يسهب في الوصف و ذكر التفاصيل يقول "فإنه إذا سمع هذا منها ضرب بنفسه الأرض وتمرغ في التراب وهاج ، و أزيد ، وتعفر شعره ، وهات من رجالك من يضبطه ويمسكه، ومن يجسر على الدنو منه ، فإنه يعض بنايه ، ويخمش بظفره ، ويركل برجله ، ويخرق المرقعة قطعة قطعة ويلطم وجهه ألف لكمة في ساعة، ويخرج في العباءة كأنه عبد الرزاق المجنون صاحب الكيل في جيرانك باب الطاق"².

¹ _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة، ج2 ص 271

² _ المصدر نفسه ، ج 2، ص269

إن هذا الوصف الدقيق يوحي بأن التوحيدى عارف بالسكان و أحوالهم و ملم بأحوال بغداد و محيط برغبات الجمع يقول فى حديثه عن طرب ابن حجاج على غناء قنوة البصرية و هى جارتة و عشيقته يقول عنه أنه " له معها أحاديث و مع زوجها أعاجيب و هناك مكابدات و رمى و معايير"¹ .

ونجده أحيانا يكف عن ذكر التفاصيل فى حديثه عن حباة و أختها صباة و يلجأ التوحيدى إلى التصريح و الجهر بآرائه دون خوف من سلطة الوزير ، فى الليلة الثالثة طلب من الوزير أن ينقل ما سمعه عن الجماعة التى كان يزورها أبو سليمان لكن التوحيدى اعتذر قائلاً " سمعت أشياء و لست أحب أن أسم نفسى بنقل الحديث و إعادة الحوال فأكون غامزا و ساعيا و مفسدا"² .

إن حرية الإدلاء بالرأى مضمونة ما دامت لاتمس الوزير فإذا حدث العكس نجد التوحيدى يلجأ إلى الحيلة حتى يتجنب إغضابه ، وهنا تكمن قدرة الراوى فى توجيه مسار الحديث و ذكائه الحاد ، فى حين يبدو فى بادئ الأمر خاضعا لأوامر الوزير و أبى الوفاء المهندس نلحظه فى متن الخطاب متحررا قادرا على المراوغة و التحايل من أجل تمرير آراءه.

لقد كان التوحيدى مراوغا فى إجاباته و أحيانا يتقنع و يستعين برواة آخرين ليتمرر آراءه للوزير فعندما سأله الوزير فى الليلة السادسة إذا كان يفضل العرب أم العجم إستعان برأى ابن المقفع كراوية محاولا المراوغة يقول "قبل أن أحلم بشيء من تلقاء

¹ _ أبو حيان التوحيدى، الإمتاع و المؤانسة، ج2، ص 271

² _ المصدر نفسه، ج1، ص 37

نفسى أروي كلاما لابن المقفع"¹. وهو بذلك يضمن رأيه في كلام ابن المقفع فإن

استحسنه الوزير سيصارحه برأيه و إن استهجنه فإنه لن ينال العقاب.

وقد استعان التوحيدي بروايه شيب بن شيبه تاركاً للوزير حرية إستنباط رأيه من إجابته حول المفاضلة بين أمة و أخرى دون أن يعلق رأيه صراحة و المتمثل في كون العرب أفضل الأمم و أعقلها.

و يبدو أن رأي التوحيدي هو نفسه رأي ابن المقفع لهذا تعمد استخدامه ليتوارى من خلاله، لكن الوزير لم يقتنع و تنبه إلى حيلة التوحيدي و طالبه برأيه و استنتاجه ، و بمعنى آخر إن العملية الإستنتاجية التي أراد التوحيدي توجيهها إليه أعادها إليه (الوزير) بحيلة منه قائلاً " ما أحسن ما قال ابن المقفع ! و ما أحسن ما قصصته و ما أتيت به ! هات الآن ما عندك من مسموع ومستنبط"².

تعدد أصوات الرواة لدى التوحيدي، هذا التعدد يعطيه حرية في السرد ، حيث تسعفه منقولاته المراوغة في الحديث ليكون أكثر استقراراً، وترد مثل هذه المراوغات في الليلة الثامنة والثلاثين و التي ينقلها عن أبي علي الحسن بن علي القاضي التنوخي فهو الراوي الأول للحديث و الراوي الثاني هو التوحيدي.

إستعار التوحيدي رواية التنوخي من أجل تبليغ خشيته للوزير من سوء المنافقين و يقصد بهم ابن يوسف عبد العزيز جليس عضد الدولة ، يقول التوحيدي "قلت حدثني

¹ _ أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة ، ص 57

² _ المصدر نفسه ، ج1،ص51

أبو علي الحسن بن علي القاضي التنوخي قال....¹، فهو هنا منذ الوهلة الأولى يصرح أنه يروي الحديث عن راو آخر و لذلك فكل الآراء ستنسب إليه.

أمر عضد الدولة ابن شاهويه أن يبلغ ابن حرنبار أبا محمد " ينبغي ان تسير إلى البصرة، و إنا نجعل لك فيها معونة فقد طال مقامك عندنا، وتوالى تبرمنا بك ، و تبرمك بنا ، وليس لك بحضرتنا ما تحبه و تقترحه ، والسلامة لك في بعدك عنا قبل أن يفضي ذلك إلى تغيرنا "² ، فكان رد أبي محمد " الأمر للملك و لا خلاف عليه ، ولعمري إن الناس بجدودهم ينالون حظوظهم وبحظوظهم يستديمون جدودهم"³.

يجيب ابن حرنبار مراوغا ، فهو من جهة راض بقرار الملك ومن جهة ثانية يث شكواه من خلال المقارنة بغيره الذين يقلون عنه مكانة و حضورا نسبيا فيبطن نقده للملك من خلال المراوغة و الإلتفاف يقول : " ولكن أيها الشيخ لي حاجة : أريد أن تبلغ الملك حاجة عني قال : هاكما ، قال : تقول له أنا صائر إلى ما رسمت و ممثّل ما أمرت بعد أن تقضي لي وطرا في نفسي، قد تقطع عليه نفسي، و ذاك أن تتقدم فيقام عبد العزيز بن يوسف بين إثنين فيصفعانه مائتين و يقولان له إذا لم تبدل جاهك لملتهف ، ولا عندك فرج لمكروب ، ولا بر لضعيف ، ولا عطاء لسائل و لاجائزة لشاعر ، ولا مرعى لمنتجع ، ولا مأوى لضعيف ، فلم تُخاطبُ بسيدنا ، وتُقبلُ لك اليد ، و يقام لك إذا طلعت"⁴.

¹ _ أبو حيان التوحيدي،الإمتاع و المؤانسة ، ج3، ص390

² _ صدر نفسه ،الصفحة نفسها

³ _ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ _ المصدر نفسه ، ج3 ص 390.

فاستجاب ابن شاهويه لطلبه ، لكنه تردد حياء قبل أن ينقل رسالته إلى عضد الدولة لأنه عندما حضر كان يوسف قاعدا بين يدي الملك ، لكن الملك استعجله في سردها قال "هات يا هذا الحديث بفصه ، فوالله لا أقنع إلا به ، ما هذا التواني والتكاسل"¹ ، فيسرد ابن شاهويه الحديث بكل تفاصيله يقول "فكرهت اللجاج ، فسردته على وجهه ولم أغادر منه حرفا و ابن يوسف يتقدد في إهابه ، ويتغير وجهه عند كل لفظة تمر به ، فأقبل عليه الملك و قال : كيف ترى يا أبا القاسم الكيس ، فقال : يا مولانا إنا أن أقضي الحاجة بك ، فإذا لم تقضها كيف أكون فإن الحوائج كلها إليك"² .

ويظهر التوحيدى بموقف الملك من ابن يوسف و كأنه وصل إلى الغرض المقصود من وراء روايته هذه حين أعرب في نهاية الحديث للوزير عن صدق تصرف الملك قائلا " وصدق _ صدق الله قوله _ فإنه كان أحس خلق الله و أنتن الناس ، و أقدر الناس ، لا منظرَ و لا مخبرَ"³ .

كما أن الوزير قد توصل إلى فهم قصد أبي حيان من إيراد الحديث ، فيقول "ما كان هذا الحديث عندي ، وإنه لمن الغريب"⁴

لقد كان هدف التوحيدى من وراء مراوغته في سرد مثل هذا الحديث يهدف إلى تعريف الوزير بسوء نوايا الأتباع عن طريق جعله يشارك في خطاباتة و يبيى استنتاجاته بالربط بين سياق الحديث و هنا تتأكد نية التوحيدى في جعل المستمع يشترك في السرد من خلال الأحاديث التي يوجهها إليه.

¹ _ أبو حيان التوحيدى، الإمتاع و المؤانسة ، ص391

² _ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

³ _ لمصدر نفسها، ج3 ص 391.

⁴ _ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

وفي الأخير يمكن أن نستنتج أن التوحيدى قد نوع فى أساليب سرده للأحاديث التى دارت بينه و بين الوزير و كان يهدف إلى توصيل الخطاب بالصورة التى أرادها كل من الوزير و أبو الوفاء المهندس حتى لا ينال العقاب و يحافظ على مكانته التى تبوأها فى المجلس .

7. الفضاء:

يعد الفضاء عنصرا من عناصر البنية السردية ، وقد اجتهد الباحثون فى إيجاد مفهوم محدد له ، إلا أن الآراء اختلفت فمنهم من إقترح مصطلح المكان ، ومنهم من إقترح مصطلح الحيز معتمدين فى ذلك على المعنى اللغوى ، حيث تحيل لفظة الفضاء إلى " المكان الواسع من الأرض ، وقد فضى المكان و أفضى إذ إتسع ، و أفضى فلان إلى فلان أى وصل إليه ، و أصله أنه صار فى فرجته و فضائه و حيزه"¹، فالفضاء هنا هو المكان أو الحيز الممتد الذى لا يشغله شىء.

أما إصطلاحا فقد بدأ تداول مصطلح الفضاء فى العصر الحديث وهو مرادف لكلمة Espace الفرنسية ، وكلمة Space الإنجليزية ، و إلى عهد قريب كان مصطلح الفضاء معادلا للمكان فى مفهومه الشاسع على الرغم من أن الفلاسفة قد حاولوا الفصل بين المصطلحين (الفضاء ، المكان) .

لقد حاول الدارسون فيما بعد التمييز بين مصطلحي الفضاء والمكان ، ذلك أن الفضاء أوسع من المكان وهذا ما ذهب إليه حميد لحميداني حيث يرى أن " الفضاء و أشمل و أوسع من معنى المكان ، والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء"².

¹ - ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، 2000، المجلد 2 ص 114

² - حميد لحميداني ، بنية النص السردى ، ص 63

إذن فالمكان جزء والفضاء كل ، والأمكنة المتفرقة المذكورة في النص تجتمع لتشكيل فضاء هذا النص.

ونظرا لتعدد المفاهيم تعددت الفضاءات ، فنجد الفضاء الجغرافي ، الفضاء النصي ، الفضاء الدلالي ، الفضاء كمنظور.....إلخ.

وسنحاول في دراستنا للفضاء في كتاب الإمتاع و المؤنسة التركيز على الفضاء الجغرافي و الفضاء النصي.

1. الفضاء الجغرافي:

أفضى التداخل الحاصل بين مفهومي الفضاء و المكان إلى ظهور مصطلح الفضاء الجغرافي، و هو الحيز المكاني في الحكى وهو " ليس فقط المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية ولكن أحد العناصر الفاعلة في تلك المغامرة نفسها"¹.

ويتسع مفهوم الفضاء ليشمل البنية التي تعيش فيها الشخصيات و ما احتوت عليه من قطع الآثا و الديكور و الأدوات كافة بمختلف أنواعها و استعمالاتها ، كما يشتمل الوقت من اليوم و ما يترتب عليه من أضواء مختلفة أو ظلمة أو طقس بكل أحواله و الأصوات و الروائح².

لقد ارتبطت دراسة الفضاء بالتحليل الروائي أساسا لكون الفضاء المكان الذي تجري فيه الأحداث ، ولا بد لأي حدث من إطار يشمله و يجعله حدثا قابلا للوقوع ، ويأخذ

¹ _ حسن بحراوي بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي ، ط1، 1110 ، ص29

² _ عمر عبد الواحد ، السرد و الشفاهية ن دراسة في مقامات بديع الزمان الهمداني ، دار الهدى للنشر و التوزيع ط2 ، ص

الحدث حجمه الحقيقي إستنادا لسعة المكان أو ضيقه ، كما أن المكان يعود على الحديث بالقيمة الإجتماعية التي ترتبط به و يحمله من الشحنات العاطفية التي تصاحبه. و إذا كان هناك من يعتقد أن بالإمكان دراسة الفضاء أو المكان مستقلا عن المضمون فإن جوليا كريستيفا ترى أن الفضاء حين يتشكل من خلال العالم القصصي " فهو يحمل جميع الدلالات الملازمة له و التي تكون عادة مرتبطة بعصر من العصور حيث تسرد ثقافة معينة أو رؤية خاصة للعالم وهو مانسميه "إديولوجيم" العصر"¹.

و إذا نظرنا إلى زمن القرن الرابع الهجري نلاحظ ظهور نوع جديد من الأدب هو أدب المجالس ، ويسمى بأدب المجالس نسبة إلى الفضاء الذي كانت تدور فيه المسامرات ، ويمثل أدب المجالس أداة من أدوات التنظيم المركزي للمعرفة و قناة من قنوات تبادلها ، و المجلس هو "الفضاء الثقافي العربي الأساسي الذي تم فيه إنتاج الكلام العربي القابل للتداول و النقل و الإستمرار"²، وعلى هذا الأساس يصبح المجلس الفضاء الخاص بالإنتاج و التلقي .

وتتنوع المجالس بتنوع الفئات الإجتماعية المشكلة لها كما يتنوع زمان انعقادها و الكلام الذي يدور بداخلها ويمكننا أن نميز بين مجالس خاصة و مجالس عامة ، و مجالس علنية و أخرى سرية ، و نجد في كتب الأدب المختلفة شهادات حية عن أنواع عن مجالس الأمراء و الولاة و الأدباء و الشعراء و العلماء ، و لكل مجلس من هذه المجالس خصوصيته التي تميزه عن غيره من المجالس و نذكر على سبيل المثال لا الحصر ألف ليلة وليلة ،

¹ _ حميد حميداني، بنية النص السري من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزيع ، ط 1 ،

1111 ، ص 54

² _ سعيد يقطين ، الكلام و الخبر، ص 213

و مائة ليلة وليلة ، بل إن بعض هذه المصنفات ليس سوى تدوين و تقييد لما جرى في هذه المجالس كما نجد ذلك واضحا في الإمتاع و المؤانسة.

وإذا نظرنا إلى زمن إنعقاد هذه المجالس نجد أن هناك نوعين من المجالس مجالس ليلية و أخرى نهارية يعقدها الخواص و العوام على السواء و تتنوع فضاءاتها من القصور إلى البيوت ، الساحات ، الأسواق و المجالس.

كما نجد أن المجالس تتنوع بتنوع الكلام الذي كان يدور داخلها فهناك مجالس ذكر، و مجالس خمر، و مجالس أخبار و أشعار و أحاديث ، وقد كان أصحاب هذه المجالس يتنافسون لجعل مجالسهم أفضل و أرقى من غيرها.

انتشرت هذه المجالس على مدار الحقب الزمنية المختلفة و اتسمت بسمات حضارية خاصة ، و تنوعت هذه المجالس من مجالس للخواص اتسمت بالجد و إن شأها هزل فهو أميل للجد و مجالس للعامة اتسمت بالهزل و الخرافات.

تسم هذه المجالس رغم تنوعها _بسمة خاصة _ و هي الإستمرارية فالجلس لا ينتهي بتفرق الجلساء لأنه يستأنف لاحقا و هذا ما يعطيه صفة الديمومة و يظهر ذلك جليا من خلال كتاب الإمتاع و المؤانسة الذي يعرض مادة كتابه في حوالي أربعين مجلسا متواليا¹.

إن المجلس كفضاء مكاني يمكن النظر إليه من خلال مظاهره الفيزيائية البحتة ، هل هو مغلق أو مفتوح ، عام أو خاص ، واسع أو ضيق ، كيف يظهر التنظيم المكاني و كيف هي هيئة المشاركين ، وجهها لوجه ، جنباً لجنب و هذا ما دفع البعض إلى تحديد عدة و ضغيات يتشكل من خلالها المجلس.

¹ _ أبو حيان التوحيدى، الإمتاع و المؤانسة ج2، ص 216

الوضعية الأولى :وضعية الدوران:

وفيها يتحلق المتلقون مع الراوي ، وسميت بالحلقة لتدل على جماعة من المتلقين يشتركون في هم واحد و يتداخلون فيما بينهم ، تربطهم بالراوي أو ببعضهم البعض روابط عصبية أو فكرية أو دينية أو علمية وهي وضعية فطرية لا تحتاج إلى إعداد مسبق كما هو الحال في الأوضاع الأخرى.

ولوضعية الدوران هذه ميزتين : فهي موحدة لجماعة المتلقين و مفرقة في آن واحد ، تستقطب الآخر المتوافق مع توجهات الحلقة و إهتماماتها و تقصي غير المؤتلف عنها بأمر من السارد و تتكاثر الحلقة تلقائيا وإن حصل اختلاف مع أحد المتلقين تتشعب إلى حلقات متعددة.

وللحلقة شكلان : أحدهما أن يكون السارد أو الراوي مكملا لأجزاء الحلقة مع المتلقين، وثانيهما أن يكون السارد وسط الحلقة.¹

الوضعية الثانية:المتلقي متوجه إلى الراوي:

في هذه الحالة يكون الراوي هو المتحكم في السرد و المجلس لأنه متمتع بسلطة المكان المرتفع الذي يعتبر المكان المناسب الذي يتيح للآخرين فرصة مشاهدته بصورة تامة ، وعادة ما يكون المتلقون من عامة الناس ، لأنه من غير المعقول أن يكون الخليفة في وضع أسفل من السارد أو الراوي.

¹ _علي بن نعيم ، السرد و الظاهرة الدرامية ، دراسة في التحليلات الدرامية في السرد العربي القديم ،المركز الثقافي العربي ،

الدار البيضاء، الغرب ط1، 2003 ، ص263

الوضعية الثالثة :الراوي متوجه إلى المتلقي :

تكثر هذه الصورة في المجالس الخاصة ، عندما يكون المتلقي خليفة أو وزيراً ، وممن الطبيعي أن يكون المتلقي في مكان أعلى من الراوي ، ويكون هو المتحكم في السرد ، فبدل أن يكون المتلقي متجهاً إلى الراوي يكون العكس.

الوضعية الرابعة:المناظرات:

و هو شكل آخر من المجالس الخاصة تنقسم فيه جماعة المتلقين إلى قسمين ، متلقون يؤيدون السارد الأول ، و متلقون يؤيدون السارد الثاني ، وهناك من المتلقين من هم محايدون يؤيدون تارة السارد الأول و تارة الآخر حسب الحجج الأكثر منطقية.¹

كان المجلس يمثل أداة من أدوات التنظيم المركزي للمعرفة و قناة من قنوات تبادلها و ربما إختار التوحيدي هذا النمط كإطار سردي لمختلف محادثاته يرجع إلى كون القرن الرابع الهجري شهد حالة من التشبع وفق النهج الذي سار عليه كتاب الأدب كالجاحظ و ابن قتيبة و المبرد و ابن عبد ربه..... ، فرأى أبو حيان ألا يبقى حبيس هذا المسلك و أدرك بحسه المرهف و بمعرفته العميقة و إصغائه لروح العصر أن عليه تطوير شكل و أسلوب و إطار الكتابة و تحديد نفسها فكان المجلس الأدبي .

مثل المجلس الفضاء الذي دارت فيه مسامرات التوحيدي مع الوزير ابن العارض ، وإذا أردنا تحديد معالم هذا المجلس لا نجد أية إشارة تحدد خصوصيته ، كما لا يمكن تحديدها من خلال العلاقة التي جمعت التوحيدي بابن العارض ، على أن المجلس يمكن أن يحدد في

¹ _ علي بن تميم ، السرد والدرامية ، ص 261

فضاء غرفة أو قاعة يستقبل فيها الوزير ندماءه. ويمكننا تحديد شكل المجلس بحسب نوعية الأفراد المكونين له .

تأسس مجلس الإمتاع و المؤانسة نتيجة العقد المبرم بين أبي حيان التوحيدي و الوزير ابن العارض و بالنظر إلى مكانة الوزير الإجتماعية فإن مجلسه سيأخذ شكلا خاصا من أجل إبراز مكانته المتميزة مقارنة بالتوحيدي و بقية ندماءه.

إن الوضعية الملائمة التي يمكن أن يكون عليها مجلس ابن العارض هي الوضعية الثالثة التي سبق ذكرها و التي يكون فيها الراوي متوجها إلى المتلقي الذي عادة ما يكون خليفة أو وزيرا و هو الحال في هذا المجلس ، فالتوحيدي متوجه إلى الوزير المتحكم في السرد كما يظهر ذلك جليا من خلال الشروط التي وضعها في اليلة الأولى من الإمتاع و المؤانسة ، هذه الشروط جعلت التوحيدي يقع في نوع من العبودية بسبب القيود المفروضة عليه وهذا ما دفعه لطلب الإذن من أجل التخلص من بعض الشكليات التي كانت جوهرية و لها أثرها على نفسيته ، يقول التوحيدي "يؤذن لي في كاف المخاطبة ، وتاء المواجهة، حتى أتخلص من مزاحمة الكناية و مضايقة التعريض ، و أركب جدد القول من غير تقية و لا تحاش و لا محاباة و انحياش"¹.

أشار التوحيدي إلى الإطار المكاني من خلال وظيفته العلمية و الإجتماعية فهو يرى أن القاص أو المتحدث يجب أن ينهض بسهام صعبة لأنه يتوجه إلى أصناف من العامة منها الجاهلة ، ومنها العاملة ، لدى يجب أن يحظى بنصيب من التكوين الفكري الثري يقول "إن التصدي للعامة خلوقة ، وطلب الرفعة بينهم صنعة ، والتسبه بهم نقيصة و ما تعرض لهم أحد إلا أعطاهم من نفسه و علمه و عمله و لثته و نفاقه و ريبائه أكثر

¹ _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ، ج1، ص 23

مما يأخذ منهم من إجلالهم و قبولهم و عطائهم و بذلهم و ليس يقف على القاص إلا أحد ثلاثة: إما رجل أبله فهو يزدرية لتعرضه لجهل الجهال ، وإما له نسبة إلى الخاصة من وجه و إلى العامة من وجه ، فهو يتذبذب من الأنكار الجالب للهجر و الاعتراف الجالب للوصل"¹.

كما أشار إلى المسافة التي تفصل المتحدث في المجلس العام عن الخاص ، وقد تعقدت مهام القاص بسبب مكانة المستمع الإجتماعية و الثقافية و أثرها على العلاقة بين المتحدث و المتلقي يقول: "القاص حينئذ ينظر إلى تفرغ الزمان لمداراة الطوائف و حينئذ ينسلخ من مهماته النفسية و أذاته العقلية و ينقطع من الإزدياد من الحكمة لمجالسة أهل الحكمة إما مقتبسا منهم و إما قابسا لهم ، و على ذلك رأيت من انتصب للناس قد ملك إلا درهما و إلا دينارا أو ثوبا و مناصبة شديدة لمائليه و عاداته"².

2. الفضاء النصي:

ظهرت عدة دراسات تناولت الفضاء النصي بالتحليل إنطلاقا من كونه "الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها باعتبارها أحرفا طباعية على مسار الورق، ويشمل ذلك طريقة تصميم الغلاف ووضع المطالع ، وتنظيم الفصول ، وتغيير الكتابة المطبعية و تشكيل العناوين وغيرها"³.

إن الإهتمام بكل التفاصيل التي يقع عليها البصر يسمح بوجود قراءات مختلفة تتعدد بتعدد القراء لأن الفعل القرائي "ذوبان في علم الفضاء، بدءا من العين و مرورا بالمكان

¹ _ أبو حيان التوحيدى، الإمتاع والمؤانسة ، ج1، ص 160

² _ المصدر نفسه ،الصفحة نفسها

³ _ ميشال بوتور ، بحوث في الرواية الجديدة ، ترجمة فريد أنطوانيس ، منشورات عويدات ، بيروت الطبعة 2، 1192، ص

— سطح الورقة أو مكان النص — وسيرا عبر أزمنة متعاقبة وانتهاء بالذاكرة القرائية أثناء القراءة" وهذا يعني أن إستجابة القارئ و تفاعله مع النص تختلف من شخص لآخر، وقد ذهب حميد حميداني للقول أن " الفضاء النصي هو أيضا فضاء مكاني ، لأنه لا يتشكل إلا عبر المساحة ،مساحة الكتاب و أبعاده ، غير أنه مكان محدود و لا علاقة له بالمكان الذي يتحرك فيه الأبطال ، فهو مكان تتحرك فيه على الأصح عين القارئ، هو إذن بكل بساطة فضاء الكتابة الروائية باعتبارها طباعة"¹.

وبالرغم من أن الفضاء النصي لا يرتبط بمضمون الحكى إلا " أنه يحدد أحيانا طبيعة تعامل القارئ مع النص الروائي أو الحكائي عموما وقد يوجه القارئ إلى فهم خاص للعمل"².

وقد اهتم ميشال بوتور بالفضاء النصي إهتماما كبيرا ولم يقتصر على الرواية فقط و إنما توصل إلى إعطاء تعريف هندسي خالص للكتاب ، فهو يرى أن الكتاب "هو وضع مجرى الخطاب في أبعاد المدى الثلاثة وفقا لمقياس مزدوج هو طول السطر ،وعلو الصفحة و سمك الصفحات"³ ، كما أشار إلى مجموعة من المظاهر التي تشكل فضاء النص ، كالكتابة الأفقية ، الكتابة العمودية ، الهوامش ، الرسوم و الأشكال ، الصفحة ضمن الصفحة ، ألواح الكتابة ، الفهارس⁴ ، وأضاف عبد الرحيم مراشدة مظهرها آخر إعتبره استثمارا للفضاء النصي و هو التعلق بالشكل "فتداخل الأجناس الأدبية مع

¹ — حميد حميداني ، بنية النص السردي، ص 56

² — المرجع نفسه، الصفحة نفسها

³ — ميشال بوتور ، بحوث في الرواية الجديدة ، 112

⁴ — أبو حيان التوحيدي،الإمتاع والمؤانسة ، ص ص 129 ، 121

بعضها خاصة في العصر الحديث يشي بتداخل الفضاءات النصية المثارة في النصوص¹. و الوقوف على كل مظهر من هذه المظاهر قد يسهم في فك شفرات النص.

سنحاول فيما يلي دراسة الفضاء النصي في كتاب الإمتاع و المؤانسة ، هذا الفضاء هو بالضرورة يختلف عن ذلك الفضاء الذي أنشأه التوحيدي في نسخته التي خطها بيده وقدمها إلى صديقه أبي الوفاء المهندس .

إن النسخة المعتمدة في هذه الدراسة هي النسخة الصادرة عن دار الكتب العلمية ، بيروت و التي قام بتصحيحها و ضبطها خليل منصور ، جاءت هذه النسخة في مجلد واحد ضم الفصول الثلاثة على امتداد 430 صفحة ، افتتحت بمقدمة تلاها تعريف موجز بأبي حيان التوحيدي ثم جاء نص التوحيدي الذي افتتحة بمقدمته التي وجهها لأبي الوفاء المهندس، وفيما يلي جدول يوضح تقسيم الكتاب:

أقسام الكتاب	عدد الصفحات
مقدمة الطبعة	2 صفحة
التعريف بالمؤلف	2 صفحة
إفتتاحية الكتاب	13 صفحة
الجزء الأول	139 صفحة
الجزء الثاني	127

¹ _ عبد الرحيم مرشدة ، الفضاء الروائي ، عمان وزارة الثقافة ، 2002 ، ص 65

صفحة	
137 صفحة	الجزء الثالث
2 صفحة	الفهرس

إن فكرة جمع الأجزاء الثلاثة في مجلد واحد هي طريقة عملية، فهي تسمح للقارئ باقتناء كتاب واحد بدلا من اقتناء ثلاثة أجزاء ومن الناحية النفسية قد لا تجعله يتكاسل كلما فكر أنه إذا أراد الإطلاع على مضمون ليالي الإمتاع والمؤانسة عليه بقراء ثلاثة أجزاء كاملة.

جاءت الليالي موزعة على صفحات الكتاب في ثلاثة أجزاء على النحو التالي:

الجزء الثالث	الجزء الثاني	الجزء الأول	الليالي
لايالي	5لايلى	6لايلى	<u>عد للوالى</u>
الموالى لة 31 إلى 40	الموالى لة 17 إلى 31	الموالى لة 1 إلى 16	<u>تحدىدها</u>
<u>137صفحة</u>	<u>127صفحة</u>	<u>139صفحة</u>	<u>عد صفحاتها</u>

و الملاحظ هو إختفاء الليلتين الحادية عشر و الثانية عشر ، وقد ذكر التوحيدى فى الليلة العشرة ص 138 السطر الثانى أنه قص هذا الفصل فى ليلتين (العاشرة والحادية عشر) أى أن الليلة التى تلى يكون رقمها إثنى عشر و ليس ثلاثة عشر ، وربما يرجع هذا الإختلاف

إلى المسافة الزمانية و المكانية التي تفصل بين الشفائي والكتابي وهذا ماسبق توضيحه أثناء الحديث عن الإمتاع و المؤانسة بين الكتابة و الشفاهية.

عدد الصفحات	مجال الصفحات (من - إلى)	رقم الليلة	
7 صفحات	29_22	1	الجزء الأول يضم الجزء الأول حسب الترقيم 16 ليلة يبدأ من الصفحة الصفحة الأولى إلى الصفحة 160 مع عدم وجود الليلتين 12 و 13 أي أن إجمالي عدد الليالي هو 14 ليلة فقط
9	36_21	2	
6	42_37	3	
11	53_43	4	
3	56_54	5	
17	73_57	6	
6	71_74	7	
25	104_90	8	
10	114_105	9	
25	131_115	1.	
		11	
		12	
	غير موجودة		
6	145_140	13	
9	153_146	14	
4	157_154	15	
3	160_159	16	
31	112_162	17	الجزء الثاني -يفتح هذا الجزء بمقدمة في صفحة
9	200_113	18	
6	206_201	19	

1	215_207	2.	واحدة ويضم خمسة عشرة ليلة يبدأ من الصفحة 162 وينتهي عند الصفحة 211	
2	215_214	21		
5	220_216	22		
30	221_221	23		
17	246_230	24		
10	255_247	25		
5	260_256	26		
6	266_261	27		
14	291_267	28		
4	295_292	29		
3	299_296	3.		
3	211_291	31		
14	306_313	تكملة 31		الجزء الثالث -يفتح هذا الجزء بتكملة لليلة الواحدة والثلاثون ويضم 1 ليال تبدأ من الصفحة 313 وتنتهي عند الصفحة 414 -يتضمن هذا الجزء أيضا رسالتان كتب بهما المؤلف إلى الوزير (من ص 414_ص 424) -ختم المؤلف الكتاب برسالة في شكوى البؤس والشقاء موجهة إلى أبي الوفاء المهندس (من ص 424_ص 426)
24	330_307	32		
12	342_331	33		
13	354_342	34		
12	366_355	35		
1	367	36		
12	371_369	37		
1	399_390	38		
13	401_391	39		
13	414_402	4.		

استغلت صفحات الكتاب بشكل عادي ،بواسطة كتابة أفقية تبتدى من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، حيث تبدو الصفحات مشحونة من أعلاها إلى أسفلها "وقد تعطي هذه الطريقة في الكتابة الإنطباع بتزاحم الأحداث أو الأفكار في ذهن البطل الرئيسي في النص الروائي أو القصصي"¹، وهذا ما ينطبق على أبي حيان التوحيدي الذي يتميز بثقافة موسوعية حاول إستعراض جزء منها في مسامراته مع الوزير.

ونجد صفحات أخرى فيها امتزاج بين الكتابة الأفقية و الكتابة العمودية لاحتواءها على أبيات شعرية وهو ما يضيف إستثمارا آخر للفضاء النصي " فتداخل الأجناس الأدبية مع بعضها خاصة في العصر الحديث يشي بتداخل الفضاءات النصية المثارة في النصوص"²، وهذا ما نجده حاضرا في ليالي الإمتاع و المؤانسة حيث لا تخلو الليالي من هذا التداخل بين الشعر والنثر لكن بنسب متفاوتة ، إذ نجد ليال تغلب على صفحاتها الكتابة العمودية أكثر من الأفقية كالليلة الثامنة والعشرون و الليلة الثانية والثلاثون ويرجع هذا إلى طبيعة المواضيع المطروحة للنقاش في هاتين الليلتين ، في الليلة الثامنة والعشرون كان الحديث يدور حول بعض المعارف و المعتقدات الشعبية ، أما في الليلة الثانية و الثلاثون فكان الحديث عن الشعر الشعبي الخاص بالطعام والضيافة ، أحاديث عن الأطعمة الشعبية ، عادات العرب في المأكل و الأواني . كما نجد ليال أخرى تكاد تنعدم فيها الكتابة العمودية .

¹ _حميد حميداني ،بنية النص السردي،ص56

² _ عبد الرحيم مراشدة ، الفضاء الروائي ، ص 65

كان البياض حاضرا في صفحات الإمتاع والمؤانسة ،والذي "يعلن عادة عن نهاية فصل أو نقطة محدودة في الزمان و المكان"¹ حيث نجد عند نهاية كل ليلة بمثابة الفاصل بينها ، وتختلف مساحة البياض من ليلة لأخرى بحسب مضمون الليالي و المساحة التي يشغلها على الورق.

كما نجد البياض أيضا في نهاية الجزء الثاني ، حيث جاء صفحة كاملة (ص 212).وفي ما يلي جدول يوضح الصفحات المشتملة على البياض:

الصفحات التي احتوت على بياض	دلالة البياض
6	نهاية المقدمة
9	نهاية التعريف بالتوحيدي
21	نهاية مقدمة التوحيدي
29	نهاية الليلة 1
42	نهاية الليلة 3
53	نهاية الليلة 4
56	نهاية الليلة 5
73	نهاية الليلة 6
71	نهاية الليلة 7
104	نهاية الليلة 9
114	نهاية الليلة 1

¹ _ حميد حميداني ، بنية النص السردي ص59

نهاية الليلة 13	145
نهاية الليلة 14	153
نهاية الليلة 17	113
نهاية الليلة 19	200
نهاية الليلة 21	215
نهاية الليلة 22	220
نهاية الليلة 23	221
نهاية الليلة 24	246
نهاية الليلة 26	260
نهاية الليلة 29	291
نهاية الليلة 21	295
نهاية الليلة 30	299
نهاية الجزء الثاني	212_ 211
نهاية الليلة 31	306
نهاية الليلة 32	330
نهاية الليلة 33	342
نهاية الليلة 34	354
نهاية الليلة 35	366
نهاية الليلة 36	367

نهاية الليلة 37	371
نهاية الليلة 39	399

ما يلاحظ أيضا على صفحات الكتاب هو ذلك الحيز الكبير الذي خصصه مصحح هذه النسخة للتهميش ، حيث تصادفنا صفحات كثيرة نجد فيها المساحة المخصصة للهامش في الصفحة الواحدة تساوي أو تفوق تلك المخصصة لنص الليالي وهذا ما نلاحظه في مقدمة التوحيدي صفحة 11، الصفحة 131 حيث تفوق مساحة الهامش المساحة المخصصة للنص الأصلي ، وهكذا الحال في العديد من صفحات الكتاب (الصفحات 24،19،29،31،63،65،131)، ويمكن أن نرجع هذا إلى بعد الفاصل الزمني بين عصر تأليف الكتاب (ق4هـ) وعصرنا الحالي ، فقد يستعصي على قارئ هذا العصر فهم الكثير من المفردات التي لم تعد موظفة في لغته اليومية وهذا ما ذهب إليه مصحح الكتاب في مقدمته " ولقد عملنا في هذا الكتاب على تفسير الغريب و شرح المشكل من مفرداته إما لأنها معربة ، أو لبعد الفترة الزمنية بيننا و بين عصر أبي حيان، وشرح المشكل من عبارته ، و إثبات مكان الساقط من مفرداته مفردات تناسب السياق ، والتعريف بكثير ممن ورد ذكرهم فيه من العلماء والأدباء و الشعراء والفلاسفة ، و تخريج الآيات القرآنية التي ورد ذكرها فيه ليسهل تناوله من قبل الباحثين " ¹

لهذا كان لابد من إعطاء مساحة كافية للهوامش لتتسع لكل هذا الشرح والتفسير.

¹ _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة، ص6

8 إلهام ن:

يعد الزمن من المكونات الهامة في العملية السردية ، فهو عمدة القص و عصب نظمه ، وقد قسم الزمن إلى ضروب شتى منها أزمنة داخلية كزمن الحكاية و زمن الخطاب ، و أخرى خارجية كزمن الكتابة ، وزمن القراءة.

يمثل زمن الحكاية المدة التي يستغرقها وقوع الأحداث المروية ، في حين يقاس زمن الخطاب بحركة القص فقد يطوي الراوي أحداث سنة كاملة (زمن الأحداث) في فقرة يكتبها في ساعتين (زمن الكتابة) لتقرأ في دقيقتين (زمن القراءة) كما يمكن أن يسرد في كتاب ما حدث في ساعة و يقرأ في يوم كامل أو أكثر ولا يكون التطابق بين زمن الخطاب و زمن الأحداث متساويا إلا في الحوار عندما ينقل لنا الراوي الأحداث و هي تقع أو كما وقعت بالضبط.

هناك من ربط هذه الأزمنة بالبنية الثلاثية للدليل الغوي ، يقول أحمد الغرملي " إستنادا إلى البنية الثلاثية للدليل اللغوي ، المتربة من الدال ولامدلول و المرجع ، يمكن ربط الأزمنة الثلاثة التي يتأطر فيها النص السردى ببعضها ضمن بنية ثلاثية يقوم فيها كل زمن منها مقام مكون من مكونات الدليل ، فزمن الخطاب هو الدال لأنه المظهر الشكلي للسرد ، وزمن الحيز والأحداث هو المدلول لأنه يمثل مستوى التصور أو الإدراك الذهني لزمن الواقع و الزمن التاريخي كتابة فقرأة هو المرجع لأنه هو الزمن الحقيقي الذي يرتد إليه الخطاب السردى أو يحيل عليه الزمنان معا"¹.

¹ _عبد الوهاب الرقيق، هند بن صالح، أدبية الرحلة في رسالة الغفران ، ص 34

و إذا رجعنا إلى كتاب الإمتاع و المؤنسة نجد التوحيدى قد إختار الليل ليكون زمنا لمحدثاته مع ابن العارض بوصفه اللحظة التي ينطلق فيها الحكى ، فكان الإطار الذي جرى فيه سرد الأحاديث و تبادل المعرفة و المتعة ، وعلى هذا الأساس إتخذ التوحيدى من الليلة وحدة لتقسيم أحاديثه فجاءت مسامراته مقسمة إلى ليالي إبتدأت من الليلة الأولى التي انعقد خلالها الإتفاق حول مشروع المثاقفة إلى الليلة الأربعين التي تعد آخر ليلة جمعت الوزير مع التوحيدى.

و الواضح من خلال هذا التقسيم أن التوحيدى قد تأثر بكتاب ألف ليلة و ليلة و يدخل هذا في باب التعلق النصي حيث تتجسد العلاقة بين نصين محددين أولهما سابق و الثاني لاحق و العلاقة التي تجمع بينهما هي علاقة تعلق " لذلك فالنص اللاحق "متعلق" و النص السابق "متعلق به" فالنص اللاحق ينتقى و يختار النص السابق الذي يراه يستأهل أن يكون موضوعا "التعلق" لمواصفات خاصة مميزة¹. فقد يحضر النص المتعلق به من خلال اسمه أو أحد نعوته كما قد يحضر من خلال باقي أنواع التفاعل النصي و التي حددها جيرار جنيت مثل المناصة ، و التناص و الميتانص².*

و إذا نظرنا إلى ملابسات إنتاج الإمتاع و المؤنسة و كتاب ألف ليلة و ليلة نجد أن التناص يتحدد من خلال البواعث التي دفعت كل من المؤلفين إلى و وضعهما ، إن الباعث الرئيسي الذي دفع التوحيدى و شهرزاد إلى السرد هو الحياة بأنواعها مادية كانت أم

¹ _ سعيد يقطين ، الرواية والتراث السردى، المركز الثقافى العربى، ط1، أوت 1112 ص 29

² _ سعيد يقطين ، الرواية والتراث السردى ، ص21

* المناص:بنية نصية متضمنة في النص كما هي

المتناس:بنية نصية محمولة ومتداخلة مع بنية أخرى

الميتانص: بنية نصية يعلق بواسطتها

معنوية ، لقد كانت شهرزاد تحكي لتخلص نفسها و بنات جنسها من الموت المؤكد على يد الملك شهريار ، فكان استمرار الحكى يعنى استمرار الحياة ، في حين كان التوحيدى يحكى لينال الحضوة و المكانة عند ذوي الجاه و السلطان ففي الوقت الذي كان شهريار يقول لشهرزاد "إحكي و إلا قتلتك" نجد أبا الوفاء المهندس يقول للتوحيدى "إن من قدر على وصولك يقدر على فصولك ، وإن صعديك حين أراد يتزل بك إذا شاء"¹.

كما أن النصان يلتقيان في نقطة أخرى و هي نظام تقسيم الليالي، فالتوحيدى قد استلهم نظام المحادثة من كتاب ألف ليلة و ليلة وعلى شاكلته ، فاتخذ من الليلة إطاراً زمنياً لإحتواء أحداثه الليلية ، وإذا كانت شهرزاد تبدأ حكايتها مع غروب الشمس لتنتهي عند طلوع الفجر ، فإن أبا حيان لم يشر في ثنايا كتابه إلى المدة الزمانية التي استغرقتها المحادثة مع الوزير داخل الليلة ، هل كانت المسامرات تدل على أن الحادث قد استغرقت وقتاً طويلاً ؟ و نجده يعبر عن ذلك في مواضع مختلفة يقول الوزير في الليلة السابعة "أظن أنه قد نصف الليل"².

ويشير في الليلة السادسة عشرة إلى أن الحديث استمر إلى الثلث الأخير من الليل يقول "إن الليل قد دنا من فجره ، هات ملححة الوداع"³.

¹ _ أبو حيان التوحيدى، الإمتاع و المؤنسة ، ج 1 ، ص 13

² _ المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 71

³ _ المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 160

وفي ليلة أخرى يستخدم الوزير تعابير مختلفة للدلالة على تعبته بسبب طول السهر وطول
المدة التي استغرقتها المسامرات يقول الوزير في الليلة الثامنة "إن الليل قد ولى و النعاس
قد طرق العين عاتبا"¹

و في الليلة الثالثة عشر يقول " و أظن أن الليل قد تمطى بصلبه و ناء بكلكله"² ، وفي
الليلة الثانية و الثلاثون يقول " قد تمطى الليل و تغورت النجوم ، وحن البدن إلى الترفه
، فإذا شئتم فانصرفنا متعجبين"³ ، و يقول في الليلة الخامسة و الثلاثين "ثم تمطى
و قال: و انعاساه ، وأضعف مُنتاه ، ثما فارقت المجلس"⁴.

ويبدو أن الوزير ابن العارض كان يستمتع بمسامراته مع التوحيدي لذلك نجد أن المجلس
لا يجتتم إلا إذا أحس بالتعب و قد عبر عن ذلك عدة مرات ، يقول في الليلة السابعة
والعشرون " هذا الكلام ليس عليه كلام أرى النعاس يخطب إلى عيني حاجته " ⁵ .
ويقول في الليلة التاسعة و العشرون " فإن الليل قد عبس وجهه ، و جنح كاهله و
أهدى إلى العين سنة تسرق الذهن و تسبي الرأي"⁶.

إعتمدت مسامرات التوحيدي في بادئ الأمر على المشافهة و هذا ما دفعه إلى اختيار
الليل ليكون زمنا لهذه المسامرات التي جمعتها بابن العارض و حاول من خلالها كسب
رضا الوزير من خلال ما كان يسرد عليه من أحاديث في شتى دروب المعرفة.

¹ _ أبو حيان ، التوحيدي الأمتاع والمؤانسة ج1، ص104

² _ المصدر نفسه ، ج1، ص145

³ _ المصدر نفسه ، ج3، ص 330

⁴ _ المصدر نفسه، ج 3 ، ص 366

⁵ _ المصدر نفسه ج3، ص266

⁶ _ المصدر نفسه ، ج2، ص 294

ووقوفاً عند رغبة أبي الوفاء المهندس و خوفاً من تهديده قام التوحيدى بتحويل مسامراته إلى نصوص مكتوبة " هذا و أنا أفعل ما طالبني به من سرد جميع ذلك ، إلا أن الخوض فيه على البديهة في هذه الساعة يشق و يصعب بعقب ما جرى من التفاوض ، فإن أذنت جمعته كله في رسالة تشتمل على الدقيق و الجليل ، والحلو والمر والعاسى و المحبوب و المكروه"¹ ، وبذلك شكل زمن الكتابة مرحلة زمانية ثانية من مراحل إنجاز كتاب الإمتاع و المؤانسة و من تم أصبح لهذه النصوص زمانين متباعدين ، زمن الحكاية أو زمن الحديث و زمن الكتابة ، إن هذا التباعد بين الزمنين خلق نوعاً من الإضطراب في بنية الليالي فقد استغرق مشروع المشافهة بين التوحيدى و ابن العارض أربعين ليلة كما هو وارد في ترقيم الليالي ، إلا أن التصفح الدقيق للكتاب يوصلنا إلى نتيجة مفادها أن هناك ليلتين لم يتم إدراجهما في الكتاب و هما الليلة الحادية عشرة و الليلة الثانية عشرة ، وهنا يمكننا أن نتساءل عن سبب تغييب هاتين الليلتين و نجد أنفسنا أمام إجابتين محتملتين:

أولهما أن التوحيدى سامر الوزير ثمان و ثلاثين ليلة فقط وأنه عمد إلى الزيادة حتى يحصل على أربعين ليلة ، يقول أحمد أمين في مقدمة الكتاب " ولست أستبعد أن يكون أبو حيان قد تزيد فيه ، واخترع أشياء لم تجر في مجلس الوزير ، فقد عرف عنه أمثلة من هذا القبيل فقد اهتمه العلماء من قبل و منهم ابن الحديد بأنه وضع الرسالة المشهورة المعزوة إلى أبي عبيدة على لسان أبي بكر و عمر في حق علي بن أبي طالب و لعل هذا

¹ - أبو حيان التوحيدى، الإمتاع و المؤانسة، ج 1 ، ص 14

التزید كان ضمن الأسباب التي دعتة أن یرجو أبا الوفاء أن يكون الكتاب سرا ، فإنه ألف الكتاب في حياة الوزير وخشى أن الوزير یطلع علیه فيعلم مقدار ما تزید"¹.

و إذا كان أحمد أمين قد أید فرضية الزيادة في محتوى الكتاب ، فإن هناك من رأى أن كتابة الإمتاع و المؤانسة في شكل مسامرات ليلية إنا هو إختيار فني و ليس نقلا لأحداث فعلية وقعت للتوحيدي مع الوزير ابن العارض أولا ثم قام بتدوينها ثانيا لأبي الوفاء المهندس.

في حين رأى كمال أبو ديب أن حجم المادة المعروضة في كل ليلة لا يمكن أن نصدق إمكانية عرضه كاملا.

والإحتمال الثاني أن أبا حيان سامر ابن العارض أربعين ليلة و دونها لأبي الوفاء في سبع و ثلاثين ليلة بسبب الفرق بين الخطاب الشفوي و الخطاب المكتوب و قد أشار التوحيدي إلى هذا الفرق في قوله " إنما نثرت بالحلم ما لاق به ، فأما الحديث بعدي وبعديك ، لم أجد بدا من تنميق يزدان به الحديث ، وإصلاح يحسن معه المغزى، وتكلف يبلغ بالمراد الغاية ، فليقم الغدر عندك على هذا الوصف ، حتى يزول العتب و يستحق الحمد و الشكر"².

وفي موضع آخر يشير التوحيدي إلى الفارق بين الخطاب الشفوي و الخطاب المكتوب يقول " و الكتاب يتصفح أكثر من تصفح الخطاب لأن الكتاب مختار و المخاطب مضطر"³.

¹ _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ، مقدمة أحمد امين ،وعلي الزين ،ص ص، ع، ف

² _ المصدر نفسه ، ج3 ، ص 399

³ _ أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ، ج1 ، ص52

إن عملية التدوين عامة تتوجه بعد معاودة الكتابة إلى نقل الشفوي بوعي وعقل يعمدان إلى الاختيار و الانتقاء و الشرح و التحويل و التعديل ، ومعنى هذا أن المعاني الجوهرية للخطاب الشفوي لا تكون بشكلها الخام في أي شكل من أشكال الخطاب في الكتاب.

إن اندراج عناصر شفوية في السرد تجعل العناصر في النص مشدودة في الغالب إلى مرجعية المتكلم و المخاطب و الخلفية التي استمد النص حضوره منها ، و التحويل الذي يخضع له النص الشفوي يجعلنا نتحدث عن النص الغائب غير المعلن والمضمن بلا شك ضمن نصوص الكتاب لأن فعل الكتابة حتى وإن كان ملزما للمتكلم و المخاطب يخضع لعدد من الإقصاءات و الحذف و الزيادات و الضوابط التقديرية من قبل الكاتب.

الفصل الثالث

1. التلقي

2. مستويات التلقي

أ. متلق عام | متلق خاص

ب. متلق إيجابي | متلقي سلبي

ج. متلق معياري

د. متلق سامع | متلق قارئ

3. مستويات التلقي في الإمتاع و المؤانسة

أ. متلق سامع

ب. متلق قارئ

ج. متلق متكلم | كاتب

تمهيد:

تشكل نصوص الإمتاع والمؤانسة الخطاب المسرود والقابل للتلقي والقراءة على مر العصور، وتختلف القراءات باختلاف القراء وثقافتهم كما تختلف باختلاف العصور والأزمان

1. التلقي:

إن أول إرهاصات نظرية التلقي ظهرت عند أرسطو في كتابه فن الشعر وتمثل في فكرة التطهير كما ذهب إلى ذلك روبرت هولب ، أي فيما ترمي إليه النصوص ولا سيما التراجيديا من غسل نفوس المتلقين من قراء ومشاهدين لتنقيتها من أضرار الشر¹.

و إذا انتقلنا إلى العصر الحديث وجدنا بعض الباحثين يربطون بين تفكيك النص و تلقيه حيث أصبح أصحاب نظرية التفكيك يولون القارئ (المتلقي) مكانة تفوق مكانة الكاتب وهذا "يعني أن اختلاف القراءات أصبح هو السلطة الأولى في التعامل مع النص"² ، ويعني أيضا " أن القصيدة ليس لها وجود فعلي إلا عند قراءتها و أن معناها لا يمكن مناقشته إلا بقراءتها"³ . وكان للشكلايين الروس دور مهم في ظهور نظرية التلقي وذلك نتيجة لاهتمامهم بالقارئ ، كما كان لرولان بارث و أمثاله من النقاد البنيويين دور في ظهور هذه النظرية إذ جعلوا القارئ بطلا مناقضا للكاتب

¹ -حامد أبو أحمد، الخطاب والقارئ ، ص 29

² -مرجع نفسه ص 32

³ -مرجع نفسه صفحة نفسها

أو مكمل له و أعطوه مكانة بارزة في فهم النص وتذوقه تفوق مكانة الكاتب يقول رولان بارث وأمثاله " إن مولد القارئ ينبغي أن يحدث على حساب موت المؤلف"¹. ومن النقاد الذين كان لهم دور في ظهور البوادر الأولى لنظرية التلقي رومان إنغاردن الذي رأى " أن العمل الأدبي في حاجة دائما إلى هذا النشاط الإنساني الذي يعمل فيه القارئ خياله من أجل أن يكمل العمل ويحققه عيانا"². ومنهم جان موكاروفسكي زعيم المدرسة البنيوية التشيكية في براغ الذي رأى أن النص الأدبي يوجه إلى متلقي ، وأقر بأن لهذا المتلقي شأن في إكمال النص الأدبي.

ونستطيع أن نضيف إلى هؤلاء علمين آخرين هما جوليان هيرش الذي نادى " بضرورة التركيز على الأعمال ومنشئها ، بل على الآثار التي أحدثتها هؤلاء المنشؤون في زمنهم وبعد زمنهم في نفوس المتلقين الذين يدركون قيمة تلك الأعمال ويقررونها"³، و شوكنغي الذي عني بالجانب الإجتماعي من ثقافة المتلقي وبالعوامل الكثيرة التي شاركت في تكوين ذوقه على نحو معين وذهب إلى أنه "لم يعد المؤلف وعمله الأدبي يحتلان مكانة الصدارة بل انصرف الاهتمام أساسا إلى المتلقي و إلى الظروف الإجتماعية التي تم فيها التلقي"⁴.

من هنا يمكن القول أن نظرية التلقي جاءت نتيجة الجهود المستخلصة من بنيوية رولان بارث وشكلانية الروس ونظريات المدرسة البنيوية التشيكية وآراء نقاد آخرين.

¹ - رولت هولب ، نظرية التلقي، ص 192

² - المرجع نفسه ، ص 39

³ - المرجع نفسه ص 13

⁴ - المرجع نفسه ، ص 14

وجاء ياوس ليكمل المسيرة فاستثمر الجهود السابقة وحاول الخروج بنظرية متكاملة الملامح ، حيث وضعت هذه النظرية مفاتيح النصوص في أيدي القراء وسمحت لهم أن يقتحموها من جهات مختلفة و بأساليب متعددة و أن المعنى الأدبي الذي ينتجه قارئ النص لا يمنع غيره من القراء من إعطاء معنى آخر لنفس النص ، أي أن النص الواحد يمكن أن يقرأ قراءات مختلفة على مر العصور وهذا ما يعرف بالقراءات التداولية¹.

مع العقد السادس من القرن العشرين شاع هذا التيار النقدي في ألمانيا وراح الشباب يناقشون دعاوى أسلافهم ويصدرون البحوث التي تحذر من خطر المناهج السابقة ولوحظ أنه إبتداء من عام 1163 أخذ الإهتمام النقدي ينتقل من ميدان المسرح من إنتاج المسرحيات وعرضها وتمثيلها وموضوعاتها إلى تأثيرها واستجابة الجمهور لها².

استفاد ياوس من هذه الآراء وراح يصدر البحث من أجل الوصول إلى نظرية متكاملة وتوصل إلى "أن جوهر العمل الفني يقوم على أساس تاريخيته أي على أساس الأثر الناشئ عن الحوار المستمر مع الجمهور"³. وجاء بمصطلح جديد وهو أفق التوقعات ويقصد به وصف المقاييس التي يستخدمها القراء في دراسة النصوص الأدبية و الحكم لها أو عليها⁴ ، وربما كان اختياره لهذا المصطلح نابعا من الآراء السابقة التي مهدت لنظرية التلقي و القائل أن المعنى نسبي لأنه جماع المعاني التي تتحصل مما يستنبطه من النص قراء أو متلقون عديدون ، وإن الحس الجمالي وتذوق الإبداع مستندان إلى التلقي، وهذا الإستناد مرتبط بفكرة التطهير التي أشار إليها أرسطو قبل بضع وعشرين قرنا ، ومعناه

¹ - حامد أبو أحمد ، الخطاب والقارئ ، ص 53

² - المرجع نفسه، ص 77

³ - المرجع نفسه، ص 99

⁴ - المرجع نفسه، ص 94

تحرير الإنسان القارئ أو المتأمل في النص أو المشاهد المسرحية اليومية من المصالح اليومية ونقله إلى الحرية الجمالية في تعامله مع الأدب ، وانطلاقاً من هذه النقطة رفض ياوس رأي من رأى الحس الجمالي منفصلاً عن التطهير و أن وظيفة الأديب إبداع الجمال و معالجة القضايا الإجتماعية والإنسانية و أكد " أن جوهر العمل الفني يقوم على أساس تاريخيته أي على أساس الأثر الناشئ عن حوارهِ المستمر مع الجمهور"¹ ، كما بحث ياوس عن كيفية توحد التاريخ وعلم الجمال فأشار إلى أن " أول استقبال من القارئ لعمل ما يحدد قيمته الجمالية مقارنا بالعمال التي قرئت من قبل والدلالة التاريخية لذلك أن فهم القارئ الأول سيؤخذ به و سينمى في سلسلة من عمليات التلقي من جيل إلى جيل"².

وكان لأيزر دوره في وضع تقديم لنظرية التلقي بالوجه الذي صارت عليه حيث يرى أن أساس قراءة العمل الأدبي تقوم على التفاعل بينه وبين متلقيه والعمل الأدبي لديه يشتمل على طرفين أحدهما فني والآخر جمالي ، الأول هونص المؤلف والآخر هو الإدراك المنجز من قبل القارئ ولا يمكن للنص أن يكون فعليا دون أحدهما.

ويرى أيزر أن متعة القارئ تبدأ " عندما يصبح هو نفسه منتجا أي عندما يسمح له بأن يأخذ ملكاته الخاصة بعين الاعتبار"³ ، وذلك يتم عن طريق المشاركة بين رغبة القارئ وبنية النص ، وتحدث أيزر عن القارئ الضمني والذي اعتبره بنية نصية ذات

¹ - حامد أبو أحمد ، الخطاب والقارئ ص105

² - روبرت هولب ، نظرية التلقي، ص152

³ - فولفغانغ أيزر ، فعل القراءة، ص30

وجود أسبق من المتلقي مهما كان تحديده¹، وهذه البنية تسمح للقارئ بالإنطلاق من نقاط معينة يتلاءم فيها أنواع مختلفة من القراء، وهذا يجعل عملية القراءة قائمة على وتر داخلي متواصل بين توقعات القارئ و ما هو موجود في النص، فهذه النظرة تجعل القراءة ذات فاعلية في تناول النص بل إنها تقيم مفهومه على حضور واضح للقارئ في بنيته ودون هذا الحضور لن يكون للنص وجود فعلي.

وكغيرها من النظريات شهدت نظرية التلقيح رواجاً كبيراً عند النقاد العرب فراحوا يتدارسونها وحاولوا تطبيقها على مختلف النصوص سواء كانت شعرية أو نثرية فنجحوا أحياناً وأخفقوا أحياناً أخرى.

2. مستويات التلقيح:

إن وجود نص أياً كانت طبيعته نثرياً أو شعرياً مقروءاً أو مسموعاً يفترض بالضرورة وجود متلق له، هذا المتلقي قد يكون كاتب النص أو أي شخص آخر. وتختلف طبيعة إستجابة المتلقي و تفاعله مع النص بحسب طبيعة المتلقي فبين إستجابة المتلقي العادي و المتلقي الناقد و المتمرس فرق كبير بسبب إختلاف ردود الأفعال و الفعاليات الذهنية التي يعبر بها كل منهما فضلاً عن مستوى خبرة وثقافة كل منهما " فغالبا ما يلجأ متذوق الأدب إلى الإندماج بالنص في شبه حالة لا واعية بما يجري في ذهنه بينما تصاحب عملية التلقيح لدى الناقد المتمرس أشكال من الوعي تتجلى في التحليل وتقديم بناء أو أبنية منطقية اعتماداً على معطيات النصوص ذاتها"².

¹ - فولفغانغ أيزر، فعل القراءة، ص34

² - حميد الحميداني، مستويات التلقيح القصيرة نموذجاً، مجلة دراسات سمائية ادبية لسانية، عدد خاص حول جماليات

التلقيح عدد6 خريف شتاء 1112، ص17

من هنا يتبين أن الناقد المتمرس يبذل جهدا أكثر في فهم النص وفك شفراته وملء فراغاته من أجل الوصول إلى ما لم يقله الكاتب ، كما أن هناك فرقا في إستجابة المتلقي السامع والمتلقي القارئ هذا الفرق يكمن أولا في الإختلاف في العملية التواصلية وكل ما يصاحبها من تغييرات أي بين وضعية المشافهة ووضعية الكتابة كما سبق الحديث عنها ، فالنص المكتوب لا يتعرض بالتفصيل دائما لكل الجوانب و الجزئيات المرتبطة بالحكي أو الوصف و على القارئ بذل مجهوده في استحضارها لاستكمال الأجزاء الناقصة في العالم الممكن الذي يتحدث عنه النص ، في حين النصوص المسموعة هناك عناصر أخرى كالإيماءات و الإشارات التي قد يلجأ إليهم المتكلم من أجل إيصال أفكاره والتي تساعد المتلقي السامع على الفهم والتأويل.

إن هذه الإختلافات في تلقي النصوص يدفعنا إلى تحديد مستويات للتلقي ، هذه المستويات تخضع إلى عدة معايير في تحديدها ترجع إلى طبيعة المتلقي .

في دراسة قام بها حميد حميداني تحمل عنوان " مستويات التلقي القصة القصيرة نموذجاً " حاول تحديد مستويات لتلقي النص القصصي القصير منطلقا في دراسته من أعمال أيزر في حقل جمالية التلقي ومفهوم القارئ الضمني غير أن هذه الدراسة كما يقول حميد حميداني " كانت تتجنب في نفس الوقت ذلك الطابع التجريدي الذي يغلب عليه فلا تأخذ إذن بمفهوم القارئ الضمني بل تتعامل مع القارئ الفعلي الموجود في الواقع وهذا يعني أنها تستند في نفس الوقت من قارئ يابوس لكن في لحظة من لحظات تحقيقاته التاريخية المحددة"¹.

¹ - حميد حميداني ، مستويات التلقي ، ص14

بدأ الباحث في تحديد مستويات للمعرفة تقابلها مستويات للقراءة فتحصل على مايلي

معرفة حدسي ← قراءة حدسية ← التذوق المتعة

معرفة أيديولوجية ← قراءة أيديولوجية ← المنفعة

معرفة ذهنية أو فكرية ← قراءة معرفية ← التحليل

معرفة إبسنمولوجية ← قراءة منهاجية ← التأمل المقارنة و إدراك الأبعاد

وحاول الربط بين مستويات القراءة و رأى أن هناك إلتقاء بين جميع هذه المستويات

و إن كان التمييز بينهما تفرضه هيمنة إحداهما في كل مستوى من مستويات تلقي

النص الأدبي .

و أشار الباحث إلى أنه حاول من خلال هذه التجربة تفادي بعض الثغرات التي ميزت

تجارب سابقة، فقد سبقه إلى مثل هذه الدراسة نورمان هولاند في كتابه " خمسة قراء

يقروون" والذي حرص على تحديد شخصيات قراءه قبل إجراء إختبار القراءة وقد

رفض جوتمان كولير هذا " لأنه في نظره يجعل شخصية القارئ كمعطى أولي وثابت

في حين أن الشخصية قابلة في الواقع لأن تجري ردود فعل غير منتظرة تبعا لطبيعة

النص المقدم لها ولمقدار ما فيه من تسنين مقصود" ¹ وتفادى هذا الباحث " جعل

القارئ مجرد أداة إستكشافية للوصول إلى معطيات نفترضها في النص المدروس" ² .

حاول حميد حميداني توجيه عمله ليقترب من ميدان النقد الأدبي في نفس الوقت

وذلك بجعل الإستذكار الذي استخدم في تجارب علم النفس التجريبي وسيلة للحصول

على تلقائية وعفوية ردود الفعل عند قراء عاديين بإجراء التطبيق على عينة من داخل

¹ - حميد حميداني ، مستويات التلقي القصة القصيرة نموذجاً، ص 101

² - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

التخصص الأدبف بالتحدفد من مبال النقد ، و تفادف إحداء الفجوة الكبفرة بفن زمن القراءة و لحظة إءراء الإءتبار كما فعل المهءدون بدراسة فعالة الءاكرة لأن التأءر فف إءراء الإءتبار عن لحظة القراءة فعرض المءلقفن لمؤءراء ءءفدة و لتلاشف الءكرفاء مما فؤءف إلى ضفاع أءلب عناصر النص¹.

قءم هءا الباءء نصه إلى مءموعة من طلاب السنة الءالءة ءخصص النقد الأدبف الءءء مع مءموعة من الأسئلة و من ءلال ءراسة إءاباءهم إسءطاع ءءفد مسءوفاء ءلقفهم للنص ، و ءصل فف النهاءة على ءلال قراءاء :
قراءة ءءلب الءانب المعرفف .

قراءة ءعادل بفن الءانب الءءسف و الءانب الأفءفولوجف .

أما القراءة الإءسءمولوجفة لم فءمكن أءء من اقءءام هءا المبال لأنها ءءطلب معرفة بأءماط القراءة الممكنة ءاءها.

من ءلال هءة الءراسة الفف قءمها ءمفء لءمفءافف نلاحظ أن ءءفءه لمسءوفاء ءلقف النص اعءمءء أساسا على المسءوفى الءهنف والمعرفف للقراء و من ءلاله اسءطاع الوصول إلى ءءفد مسءوفاء ءلقفهم للنصوص.

وربما ءانء طبعفة النص القصصف القصفر هف الفف شءءء الباءء إلى اللءوء إلى مءل هءة الءراسة ءلك أن النص القصصف فءسم بالقصر و قء لا فءءاء إلى مءة طوفلة لقراءءه و فك شفراءه ءون أن ننسف المسءوفى الفكرف و الءفافف للقراء و الءف له ءوره فف ءءفد مسءوفاء ءلقف، إلا أن الءءء فءءلف إذا انءقلنا إلى نص روائف أونص شعرف فالءراسة ءءءلف و ءءققء.

¹ - ءمفء لءمفءافف ، مسءوفاء ءلقف، ص 102

إن اختلاف طبيعة النصوص و ظروف نشأتها وتكوينها قد يفرض علينا اختيار الطريقة الملائمة للتعامل معها وفهمها ودراستها وتحديد مستويات تلقيها.

وعلى هذا الأساس وبالنظر إلى طبيعة نصوص الإمتاع والمؤانسة يمكن القول أن دراسة كالتى سبقت قد يصعب تطبيقها على كامل نصوص الإمتاع والمؤانسة لما تتسم به من طول وتنوع في المواضيع ومن هنا سنعمد على طبيعة النصوص و ظروف تكوينها من أجل تحديد مستويات تلقيها ، هذه المستويات تعتمد بالدرجة الأولى على القناة التي تتلقى من خلالها النصوص.

قبل الحديث عن مستويات التلقي يجب الحديث عن التلقي وهو يمثل الركن الثالث من أركان العملية الإبداعية بعد المرسل والنص فمن هو هذا المتلقي ؟ وهل هو أنواع؟ وكيف يمكن التمييز بين المتلقين؟

المتلقي هو من أرسلت الرسالة من أجله و يتطابق مصطلح المتلقي مع " مصطلح السامع في عصر الرواية عند العرب القدماء كما يتطابق أو يتداخل بمصطلح الجمهور"¹.

ولا تقل أهمية الصلة الموجودة بين النص و متلقيه عن الصلة بين النص ومنتجه أو مؤلفه ذلك أن المتلقي حين يقرأ نصا تثار عواطفه و أحاسيسه ويكون باعثا لذكرياته و خيالاته كما أنه يكون باعثا لأحلامه و استشرقاته المستقبلية.

تختلف طبيعة المتلقي بحسب طبيعة النص أو بحسب مستواه الفكري و الثقافي فنجد متلقي عاد و آخر مبدع¹، متلقي معياري و متلقي ايجابي متلقي سامع و متلقي قارئ ،

¹ -ظافر بن عبد الله الشهري ، من صور التلقي في النقد العربي القديم، المحلة العلمية لجامعة الملك فيصل للعلوم الإنسانية و

الإدارية مجلد1- عدد1، مارس 2001، ص51

متلقي مشارك في السرد² ، متلقي خاص و متلقي عام³.... إلخ من المصطلحات التي حاول النقاد إعطاءها لمتلقي العمل الإبداعي.

إن طبيعة النصوص السردية هي التي أوجدت هذا النوع من التحديد لأصناف المتلقين.
أ- متلق عام وخاص:

إن الاختلاف في طبقات المجتمع ووجود السلطان أو الأمير و حاشيته و احتلاله مكانة مرموقة بالمقارنة مع عامة الناس جعل ظروف الحياة تسير وفق هذا التقسيم ، فكلما ارتقينا في السلم الاجتماعي تحسنت أحوال الناس و ارتفعت مكانتهم وكان لهم الحظ الأوفر في الحياة المترفة ، هذا الترف انعكس أيضا على الحياة الأدبية مما أدى إلى وجود أدب الخاصة و أدب العامة ، فكان للسلطان ندماء و مسامروه يحضرون مجالسه حتى أن الخطاب الأدبي الذي كان ينتج في هذه المسامرات يتماشى ورغبات السلطان وميوله .

وجود أدب للخاصة و آخر للعامة أوجد بالضرورة متلق خاص و آخر عام ، فمثل الخليفة أو السلطان المتلقي الخاص وقد كان له مجلسه الخاص وحتى وإن لم يكن لديه مجلس فإنه كان يجلس في مكان أعلى بعيدا عن العامة حتى لا يختلط بهم و في أحيان كثيرة كان تلقي الخاصة لندمائهم " يكون من وراء ستارة، وكان الخليفة لا يظهر تماهيه مع مرويات الندماء و نوادهم إلا في بعض الأحوال التي شذت عن الأصل ، وجلس الخليفة في فضاءه الخاص عند استماعه أحاديث المنادمين هو الذي جعل ابن

1 - ظافر بن عبد الله الشهري ، من صور التلقيني في النقد العربي القديم ، ص 61

2 - على بن تميم ن السرد و الظاهرة الدرامية ص 254

3 - ضياء الكعبي ، السرد العربي القديم ، الأنساق الثقافية و إشكالية التأويل ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت

اسحاق الموصلي يغضب عندما خرق المتوكل هذا السنن الثقافي و إختلط بأصحاب السماجة حتى كأنه واحد منهم، ولذلك استمع المتوكل جيدا لنصيحة ابن اسحاق وبنى له مجلسا مشرفا ينظر إلى السماجة دون أن يتماهى معهم في أدوارهم الراقصة.¹

لقد كان جلوس الخليفة وسط العامة في مجالس القص يعد خطأ من قيمته و مكانته وهذا ما دفع الكثير منهم إلى إنشاء مجالس السمر تقام بأمر من الخليفة فهو من يحدد زمانها وحتى موضوعاتها أما المتلقي العام فهو ذلك الذي ينتمي إلى عامة الناس يحضر بنفسه إلى مجالس القص و إذا لم يكن للعامة مجالسهم الخاصة ، فمتى وجدوا قاصا أو راويا تحلقوا حوله ليستمعوا إلى أحاديثه ، فالراوي هو المتحكم في مكان و زمان الحديث متى شاء بدأ ومتى شاء أنهى حديثه وعلى المتلقين العوام الخضوع إلى رغباته ، يقول الجاحظ في حديثه عن المتلقين العوام " و إذا سمعتموني أذكر العوام فإني لست أعني الفلاحين و الحشوة و الصناع و الباعة ، و لست أعني أيضا الكراد في الجبال و سكان الجزائر البحار ، و لست أعني من الأمم مثل البير و الطيلسان ، و أما العوام من أهل ملتنا و دعوتنا و أدبنا و أخلاقنا فالطبقة التي عقولها و أخلاقها فوق تلك الأمم ، و لم يبلغوا منزلة الخاصة منا"² .

إن تحديد العام والخاص يرجع إلى المكانة الاجتماعية التي يحضى بها كل نوع من المتلقين.

1 - ضياء الكعبي ، السرد العربي القديم ، الأنساق الثقافية و إشكالية التأويل ، ص326

2 - علي بن تميم، السرد والظاهرة الدرامية ، ص256

ب- متلق إيجابي و متلق سلبي:

إن هذا التحديد يرجع بالضرورة إلى الدور الذي يلعبه المتلقي في العملية التواصلية أو في سير الأحداث ، فقد يشترك السارد و المتلقي في نسج البنية السردية ، هذه العلاقة التي تجمع بين السارد و المتلقي هي من طبيعة المجتمعات الشفاهية عامة ، وقد كان للمتلقى دور كبير في مجالس القص لأنه كان يشارك في السرد كلما سمحت له الفرصة، يقول ابن الجوزي في كتابه " تلبس إبليس " عن هذا النوع من المتلقين " ومنهم من يتحرك الحركات التي يوقع بها على قراءة الألقان ، و الألقان التي أخرجوها اليوم مشابهة للغناء فهي إلى التحريم أقرب منها إلى الكراهة ، والقارئ يطرب والقاص ينشد الغزل ، مع تصفيق يديه ، وإيقاع برجليه ، فتشبه السكر و يوجب ذلك تحريك الطباع ، وتهييج النفوس ، وصياح الرجال والنساء ، وتمزيق الثياب لما في النفوس من الهوى ثم يخرجون و يقولون كان المجلس طيباً"¹.

لا يكتفي المتلقي هنا بمجرد الإستماع والتعلم فقط و إنما يدفعه إنفعاله و تأثره بالخطاب المسرود للتعبير عن تماهيه عن طريق تفاعله مع الراوي ومشاركته في رسم مشاهد فنية رائعة وهذا ما ذهبت إليه ألفت الروبي فهي ترى أن دور المتلقي الإيجابي " لا يقتصر على الإستماع فقط بل يتعداه إلى مجموعة من ردود الأفعال التي تتمثل في عدد من الممارسات السلوكية التي تعد بدورها استكمالاً للطابع الدرامي الذي تبدأ به العملية الأدائية للقص من جانب القاص"²، بالإضافة إلى مشاركة المتلقي في عملية

¹ - علي بن تميم، السرد والظاهرة الدرامية، ص 224

² - المرجع نفسه ، ص 225

الآداء القصصي عن طريق تفاعله مع السارد يشارك أيضا في عملية السرد وفي أحيان كثيرة يكون للمتلقين دور في إحداث تغييرات على مستوى النص المسرود فيضطر السارد إلى " الإطناب أو الإيجاز أو حتى الحذف و التبدل في نص القصة ، يساعدهم على ذلك أن القصة لست نصا مكتوبا ذائعا كبقية النصوص الأدبية ، وإنما بطبيعتها شفوية يتلقاها القصاص عن شيوخهم هكذا... وهذا التسلسل الشفوي من رواية إلى أخرى يجعل القصة عرضة من هذه الناحية أيضا إلى التحريف بالإضافة و الحذف و التغيير"¹ ولم يكن التغيير على مستوى المضمون فقط بل تعداه إلى تغليب اللفظ على المعنى استجابة إلى منطق المتلقي من أجل " الإثارة و التشويق و محاولة السيطرة على وجدان المتلقي وعقله و إندهاشه من خلال اللعب بالألفاظ و إنتقائه حتى لا ينفلت عنها انتباهه ولا يتغير إلى غيرها اتجاهه"²، وهناك الكثير من النصوص السردية التي يظهر من خلالها مشاركة المتلقين في عملية السرد وقد حاول كمال أبو ذيب دراسة المتلقي و إبراز دوره في تطور النص السردى من خلال دراسته لكتاب " العظمة" المنسوب للغزالي وكتاب الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيدى وهو يرى أن " المتلقي فيها ينخرط إنخرطا فعالا في فعل السرد و تفرغ الحدث و تحديد مسارب النمو في المجلسية بدلا من أن يبقى متلقيا محايدا ينصت ولا ينطق"³.

وسنحاول لاحقا إبراز ذلك من خلال نصوص الإمتاع و المؤانسة.

¹ - علي بن تميم، السرد والظاهرة الدرامية، ص 236

² - المرجع نفسه ، ص 237

³ - المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

ج- متلق معياري:

مهما كانت طبيعة المتلقي فإنه في أحيان كثيرة قد يصدر أحكاما تخص الخطاب الذي يتلقاه ، هذا النوع من المتلقي يمكن أن نطلق عليه متلقي معياري و المقصود به " هو المتلقي الخاص الذي كان حاضرا مع المتلقي العام في مجالس القص و أصدر أحكاما معيارية"¹ ، ويدعو الجاحظ المتلقي للإستماع إلى الأخبار العجيبة يقول " فالأخبار العجيبة والمعاني الغريبة مشحذة للأذهان ، ومادة القلوب و سبب للتفكير و علة للتنفير عن الأمور ، وأكثر الناس سماعا أكثرهم خواطر ، وأكثرهم تفكرا أكثرهم علما أرجعهم عملا"².

إن هذه الأخبار تجعل المتلقي ذا خاطر و تفكر و علم و عمل يعي ما يتوجه إليه حتى وإن كان عجيبا غريبا و يتفكر به و يصدر أحكاما عليه.

و قد سبق ابن المقفع الجاحظ في تحديد صورة المتلقي النموذجي أو المعياري ينطلق منها القارئ عند قراءته لكليلة و دمنة و يرى أن على المتلقي أن يتحلى بالمواصفات التالية:

- أن يعرف الوجوه (الأغراض) و ألا تكون غايته التصفح.
- إعمال الروية ، فالمتلقي العاقل هو الذي يعلم الغرض ظاهرا و باطنا.
- أن يعمل بما علم ، و يجعله مثالا لا يجيد عنه و دستورا يقتدى به .
- أن يديم النظر من غير ضجر، و يتلمس جواهر معانيه.

¹ - علي بن تميم، السرد والظاهرة الدرامية ، ص254

² - المرجع نفسه ، ص255

فابن المقفع و الجاحظ يتفقان في أن المتلقي يجب أن يتفكر و يتدبر و يديم النظر فيما يقرأ و يتلقى¹.

د- متلق سامع متلق قارئ:

إن القارئ و السامع عنصران أساسيان في عملية التلقي و لكل منهما دلالة الخاصة و قد جاء هذا التحديد نتيجة التطور الذي عرفه الإنسان في جميع مجالات حياته و على مر العصور ، ففي بادئ الأمر كان التلقي عن طريق السماع ، ومع ظهور الكتابة ظهر نوع آخر من المتلقين وهو المتلقي القارئ .

ارتبط التلقي السماعي بالشعر فكان " مصطلح المتلقي أشد دلالة على الحالة السماعية للشعر من مصطلحات أخرى كمصطلح القارئ و السامع بوصفه مصطلحا شاملا تنضوي تحته أنماط التلقي الشفاهية أو السماعية فضلا عن القرائية"².

حظي المتلقي السامع باهتمام كبير لاقرانه بتلقي الشعر لما كان للشعر من مكانة مرموقة بالنظر لبقية الأجناس الأدبية الأخرى" وقد لا نكون في حاجة لكي نؤكد أن الأداء الصوتي كان أسبق من الكتابي ، بحكم تأخر الكتابة عن مرحلة نشوء اللغة و هو أمر يستنتج كذلك من وضعية إرسال الشعر في العصر الجاهلي حيث يثبت المؤرخون تخلف استعمال الكتابة في ذلك العصر و ميل جمهور المتلقين إلى تقبل الشعر عن طريق الإلقاء المباشر و حمله عن طريق الرواية ، و هي ظاهرة كانت لها مبررات إجتماعية تمثلت في المواقف الإجتماعية التي كان يوظف فيها

¹ -- علي بن تميم، السرد والظاهرة الدرامية، ص256

² - بشرى موسى ، نظرية التلقي أصول وتطبيقات ، المركز الثقافي العربي ط1، 2001، ص 51

الشعر كالمفاخرات و المناقرات و الدعوة للصالح مما كان يتطلب الإلقاء المباشر للشعر ، و مما كان يتطلب الإجاداة في الإلقاء ، أي التحكم في مخارج الحروف و حسن توظيف الصوات مع الخلو من العيوب الصوتية¹.

وبعد مجيء الإسلام إرتبط المتلقي السامع إرتباطا و ثقيا بالقران الكريم ، وبهذا أصبح للعرب ميزة في نظرية التلقي تميزهم عن غيرهم من الأمم وهذه الميزة مستمدة من عاملين أساسيين:

الأول القرآن الكريم إذ أوجد نوعين من التلقي أحدهما مرتبط بالآخر ، هما التلقي الشفاهي و القراءة فالإنصات لتلاوة القرآن وهو تلق شفاهي سيظل ما بقيت للزمان بقية ، إذ لا يكتفي بقراءة القرآن فلا بد من السماع و السماع تلق شفاهي دون شك و الآخر هو الشعر والشعر العربي ينشد و يغني أي بحاجة إلى متلق شفاهي².

ومع مرور الزمن أخذ الإهتمام بالمتلقي السامع يتضاءل وبدأ الإهتمام بالقارئ يحتل الصدارة و استبدل مصطلح الجمهور المستمع أو المستقبل بالقارئ .

أقر تودوروف أن الحكم على النص الأدبي مرتبط أساسا ببنيته إلا أن هذا ليس العامل الوحيد في الحكم عليه فلا بد من التخلي عن فكرة اقتطاع العمل من قارئه ، فقيمة العمل لا تظهر إلا من خلال إستنطاقه من قبل القارئ ، فهو الذي يعطي له هذه القيمة من خلال فك شفراته ، لذلك فقد أصبح للقراءة ثقلها في إبراز هوية النص ، فبعد أن كانت القراءة عبارة عن مسح بصري للنص و تفسير معجمي لألفاظه و معانيه و وسيلة

¹ - رشيد يحيوي ، شعرية النوع الأدبي ، أفريقيا للشرق ، ص133

² - محمد مبارك ، استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، الطبعة الأولى 1111، ص 295

مادية للتواصل أصبحت اليوم نشاطا إبداعيا و فعلا خلاقا نستطيع من خلالها تحديد كيفية التواصل كالكتابة نفسها.

لقد ركز النقد الحديث على موقع المتلقي و أهميته البالغة في العملية الإبداعية على أن هذا الأمر لم يخفى على نقادنا القدامى الذين خصوا القارئ بحيز كبير من مؤلفاتهم كابن طباطبا ، وقدامة بن جعفر وابن رشيق وعبد القاهر الجرجاني و حازم القرطاجني كل حاول دراسة القارئ و إعطاه مكانته اللائقة و انتهت دراستهم إلى تحديد ثلاثة أقسام للقراء هم/ القارئ الافتراضي أو المتخيل الذي تشكله مخيلة الشاعر وهو يبدع النص والقارئ الكامن في النص أو الضمني الذي يشكل النص وقد وجدت في تراثنا النقدي في تلك الأنماط الثلاثة من القراء.

وجاءت النظريات الغربية الحديثة لتولي إهتماما كبيرا بالقارئ خصوصا بعد إعلان بارث موت المؤلف و أصبح القارئ " الموقع الحقيقي على شهادة ميلاد النص لأنه هو الذي يحكم على ما يتلقاه من أي أديب ، فهو الذي يضيف عليه بالتالي السمة الإبداعية أو قل هو الذي يقر له بها"¹.

هذا القارئ يجب أن يكون قارئاً جيداً، مثقفا ثقافة لا بأس بها قادرا على فك شفرات النص الأدبي و الدخول إلى أغواره ، و كشف معاني الجمال و موضع الإبداع فيه و من ثم الوصول إلى قراءة تكمن فيها لذة النص ، أي قراءة شاعرية للنص متجاوزا بذلك القراءة الإسقاطية و القراءة الشرحية كما يقسمها تودوروف عند حديثه عن القراءات التي تقع على النصوص الأدبية.

¹ -حبيب مونسي ، فعل القراءة النشأة والتحول ، ص161

وقد عرف مجال شعرية التلقي في العقود الأخيرة من القرن العشرين بروز ظاهرة التحليل إستنادا إلى عملية تصنيف القراء إلى درجة أضحى معها من الممكن نعت كل قارئ وفق منهج صاحبه ووفق توجهه في قراءة النص و إدراكه بصفة عامة ، هكذا يمكن الحديث مثلا عن :

القارئ المثالي لدى رومان إنغاردن وديدي كوست

القارئ التاريخي لدى هانس روبرت ياوس

القارئ الضمني لدى ولفغانغ أيزر

القارئ الهيدوني لدى رولان بارث

القارئ التخيلي لدى أومبرتو إيكو

القارئ المفكك لدى جاك دريدا

القارئ الجامع لدى ميشال ريفاتير

القارئ المستهدف لدى وولف

القارئ المخبر لدى ستانلي فيش

القارئ اللاعب لدى ميشال بيكار

القارئ الجرد لدى لينتفلت

المسرود له في السرديات لدى جيرالد بيرنس وغيره

ولمختلف أنواع هؤلاء القراء تحديات نظرية لا تملك لدى أصحابها أي وجود فعلي أو واقعي بقدر ما هي كيانات نصية و إفتراضية مثبتة في ثنايا النصوص وقد تكون في حد ذاتها معايير وإجراءات لتحليل النصوص وفهمها كما هي الحال مثلا لدى ريفاتير الذي جعل من قارئه الضمني الذي يعرفه بكونه "بنية نصية تتوقع حضور متلق دون أن

تحدده بالضرورة"¹، أي أداة من بين أدوات أخرى لوصف التفاعل بين النص والقارئ في إطار نظرية الوقع الجمالي، ويمكن إدراكها بوصفها كيانات نصية بالكشف عنها من خلال مختلف قرائهم المفترضين سواء في الشعر أو الرواية أو القصة أو المسرح.

3. مستويات التلقي في الإمتاع و الموانسة:

ونحاول فيما يلي تحديد مستويات تلقي الإمتاع والموانسة بالإعتماد على طبيعة المتلقين لهذه النصوص ، فمن خلال ما سبق الحديث عنه عن ظروف نشأة كتاب الإمتاع و الموانسة نلاحظ أن الكتاب مر بمرحلتين مهمتين هما : مرحلة المشاهدة ومرحلة الكتاب من هنا يمكن الحديث عن مستويين للتلقي ، مستوى شفاهي ومستوى كتابي ، على المستوى الشفاهي يمكن القول أن ابن العارض هو المتلقي والمستمع الأول لنصوص الإمتاع والموانسة.

أ.متلق سامع:

يمثل الوزير ابن العارض المتلقي السامع لأحاديث الإمتاع والموانسة ومن خلال تتبعنا لمسار الليالي يمكننا إستنتاج مواصفات هذا المستمع ، فابن العارض هو صاحب مجلس ومقام ،يحظى بمكانة إجتماعية و سياسية مرموقة مكنته من فرض جملة الشروط على مسامره أبي حيان وما كان من هذا الأخير سوى الخضوع لهذه الشروط حتى ينال رضى الوزير يقول الوزير " أجبني عن ذلك بإسترسال و سكون بال ، بملئ فيك ، وجم خاطرک ، و حاضر علمك ،ودع عنك تفنن البغدايين مع عفو لفظك و زائد رأيك ، و ربح ذهنك ، ولا تجبن جبن الضعفاء ولا تتأطر تأطر الأغبياء ،

¹ - فولفغانغ إيزر ، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب ، ترجمة حميد حميداني ، الجليلي الكدية منشورات مكتبة

و اجزم إذا قلت ، وبالغ إذا وصفت وأصدق إذا أسندت و افصل إذا حكمت إلا إذا عرض لك ما يوجب توقفا أو تماديا" ¹.

إستطاع الوزير من خلال هذه الشروط التي فرضها على المتكلم أن يعطينا تصورا متكاملًا عن طبيعة الكلام في مجلسه من حيث طريقة الكلام في مجلسه و طريقة الآداء و كلفيته و محتواه وقد ركز على مفهومي الاسترسال و الإطناب لأن الاسترسال يعطي للسامع إحساسًا بالثقة في المتكلم و الدخول معه في العوالم التي يتحدث فيها دون تدخل أي مشوش من المشوشات " كما أن الإطناب يساهم في تقديم الجزئيات و التفاصيل التي يحتاج إليها السامع لملء مختلف الفجوات أو الثغرات التي يمكن أن تنتج لو تم إعتقاد الإيماء أو الإيحاء" ²، فالإسترسال و الإطناب وجهان لعملة واحدة قوامها تتابع الكلام و انتظامه وفق نسق يقوم على التفاعل التام بين المتكلم و السامع. إننا من خلال هذه الشروط نعي تمامًا أننا أمام متلقي واعي مثقف مطلع يعرف أن الاسترسال و الإطناب يحققان الإمتلاء و الإكتفاء المعرفي لدى القارئ و نجد الوزير يعبر عن ذلك بعبارة مختلفة " هذا كلام تام" ³، " هذا في الحسن نهاية وقد اكتهل الليل ، وهذا يحتاج إلى بدء زمان و تفرغ قلب و إصغاء جديد" ⁴، " هذا قدر كاف" ⁵، " لقد شردت النوم عن عيني و ملأت قلبي عجبًا" ⁶.

¹ - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المأنسة، ج1، ص22

² - سعيد يقطين ، السرد العربي مفاهيم و تجليات، ص 159

³ - أبو حيان التوحيدي ، المصدر السابق، ج1، ص35

⁴ - المصدر نفسه، ص 36

⁵ - المصدر نفسه ، ص 56

⁶ - المصدر نفسه ، ص 295

كما أنهما يعطيان للسامع الثقة فيما يتلقى من محاوره " لأن في الإسترسال دلالة على كون المتكلم يتحدث عفو الخاطر دون تصنع أو تفنن زائف كما أن الإطناب يعني إحاطة شاملة بالموضوع بمختلف جوانبه"¹. ومن جهة ثانية ركز الوزير في شروطه على تحري الصدق و الدقة و إستعمال السند ، وطالب التوحيدي بأن يكون شجاعا في الإدلاء برأيه يقول الوزير "و لا تجبن جبن الضعفاء ولا تتأطر تأطر الأغبياء ، وأجزم إذا قلت وبالغ إذا وصفت ، و أصدق إذا أسندت و أفصل إذا حكمت إلا إذا عرض لك ما يوجب توقفا أو تماديا"² ويذهب الوزير إلى أبعد من هذا إذ يحرص على التدقيق والتحقيق من صحة ما يروى له حتى لو اضطر إلى العودة بنفسه إلى الأمور التي تروى و التأكيد من صحتها وسلامتها بنفسه يقول " وكن على بصيرة أني سأستدل مما أسمعك منك من جوابك عنه على صدقك وخلافه ، وعلى تحريفك وقرافه"³.

إن مجمل الشروط المفروضة على التوحيدي تنم عن معرفة ووعي الوزير المتلقي بمعايير وبلاغة الخطاب الشفوي ، ومعرفة لشخصية محاوره ونفسيته ويظهر من خلال الأسئلة التي كان يطرحها وجود موقف من الندية و المنافسة على مستوى الثقافة بين الرجلين. أما الوزير فكان متعطشا لكل أنواع المعرفة و أصر أن يستفيد من ثقافة الوزير إلى أبعد الحدود و تعرضه لقضايا دقيقة وصعبة يؤكد عمق ثقافته وقد إعترف له أبو سليمان

¹ - سعيد يقطين ، السرد العربي مفاهيم وتحليلات نص 151

² - أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و الموانسة ، ص 22

³ - المصدر نفسه ، ص 23

المنطقي بإقتداره على طرح الأسئلة الدقيقة قائلا " هذه مسائل المتحكمين ، وطلبات المدللين ، و إقتراحات المقتهدين و منية الأولين و الآخرين " ¹.

وذكر أحمد أمين أن تكوين ابن العارض و ثقافته الثرية راجع إلى المتدى الذي كان ينعقد في وزارته و يجمع جملة من العلماء و الأدباء منهم ابن زرعة الفيلسوف النصراني و ابن مسكويه صاحب "تهذيب الأخلاق" و " تجارب الأمم" و أبو الوفاء المهندس و أبو سعيد بهرام بن أردشير و ابن حجاج الشاعر الماجن و أبو عبيد الخطيب الكاتب و أبو حيان ².

كما أن السمة المميزة للعصر هي إتماء الوزراء إلى الفئة المثقة من بينهم عضد الدولة و الوزير المهلي و ابن العميد و ابن عباد و قد وصف التوحيدى ندماءهم فقال " ما لهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير و أن جميع ندماء المهلي لا يفون بواحد من هؤلاء ، و أن جميع أصحاب ابن العميد يشتهون أقل من فيهم و أن ابن عباد إلا الجدل الذي يشفون و يحمقون و يتصايحون" ³، فلا عجب أن يكون من نتاج ابن سعدان الوزير العالم هذا الكتاب الذي نحن بصدهه كتاب الإمتاع و المؤانسة ⁴.

إن تمتع ابن العارض بثقافة موسوعية جعلته متلقيا متميزا مقارنة بأصحاب المجالس في ذلك العصر.

أما من حيث المكانة الإجتماعية و السياسية يمكننا القول أن ابن العارض متلق خاص كان له مجلسه الخاص و المميز ، وهي سمة ميزت الوزراء في القرن الرابع الهجري ، إذ

1 - أبو حيان التوحيدى ، الإمتاع و المؤانسة ، ج3، 356

2 - المصدر نفسه ، مقدمة احمد أمين، ج1، ص ط

3 - المصدر نفسه ، ج1، ص ص ط ، ي

4 - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

كان كل واحد يقيم مجلسه الخاص و يختار فيه ندماءه و مسامريه و لا يحضره عامة الناس، وحتى و إن لم يكن لديه مجلس فإنه لا يختلط مع العامة في مجالس القص و السمر بل كان يجلس في مكان أعلى بعيدا عن العامة حتى لا يختلط بهم لأن في إختلاطه بهم حط من قيمته ، و في أحيان كثيرة كان تلقي الخاصة لندمائهم " يكون من وراء ستارة و كان الخليفة لا يظهر تماهيه مع مرويات الندماء و نوادرهم إلا في بعض الأحوال التي شذت عن الأصل ، و جلوس الخليفة في فضاءه الخاص عند إستماعه أحاديث المنادمين هو الذي جعل ابن اسحاق الموصلي يغضب عندما خرق المتوكل هذا السنن الثقافي و إختلط بأصحاب السماجة حتى كأنه واحد منهم ولذلك إستمع المتوكل جيدا لنصيحة ابن إسحاق و بنى له مجلسا مشرفا ينظر إلى السماجة دون أن يتماهى معهم في أدوارهم الراقصة¹ .

و لم يخرج الوزير ابن العارض عن هذه القاعدة فلم يكن مجلسه مفتوحا للعامة و قد إختار مسامره التوحيدى بكل عناية بعدما سمع من أخبار عن علمه و ثقافته الواسعة حيث يقول في الليلة الأولى " قد سألت عنك شيخنا أبا الوفاء فذكر أنك مراعى لأمر البيمارستان من جهته ، و إن أربأبك عن ذلك ، و لعلني أعرضك لشيء أنه من هذا و أجدى ، و لذلك فقد تآقت نفسي إلى حضورك للمحادثة و التأنيس ، و لأتعرف منك أشياء كثيرة مختلفة ترد في نفسي على مر الزمان ، لا أحصيها لك في هذا الوقت ، لكنني أنثرها في المجلس بعد المجلس على قدر ما يسبح و يعرض² .

1 - ضياء الكعبي ، السرد العربي القديم ، الأنساق الثقافية و إشكاليات التأويل، ص 326

2 - أبو حيان التوحيدى ، الإمتاع والمؤانسة ، ج1، ص22

إن خصوصية مجلس ابن العارض جعلته يتحرى الدقة في إختيار مسامره أبي حيان وهذا ما أشعره فيما بعد بالثقة فيما يعرض عليه لأنه على يقين من أن التوحيدى قد بدل جهده في البحث ليجيبه عن إنشغالاته من جهة لما يتمتع به من ثقافة موسوعية و من جهة ثانية حتى يحافظ على منزلته في المجلس و ينال الحضوة و المال.

وتظهر سلطة المتلقى الخاص (ابن العارض) ليس في إختيار مسامره فقط بل تتعداها إلى أبعد من ذلك من خلال إختياره لمواضيع محاوراته مع التوحيدى إذ كان يختار كل ليلة موضوعا للنقاش ، كان الوزير يسأل و التوحيدى يسترسل في الإجابة دون توقف إلى غاية أن يأذن الوزير أو يصرح بإنهاء الليلة ، وهذا الإسترسال يجنب المستمع مشقة تأويل المعنى ، يقول الوزير " أول ما أسألك عنه حديث أبو سليمان المنطقي كيف كان كلامه فينا ، وكيف كان رضاه عنا ورجاؤه بنا ، فقد بلغني أنك جاره و معاشره و لصيقه و ملازمه و قافي خطوه و أثره ، و حافظ غاية خبره" ¹ ، ويقول في موضع آخر " ما قصرت في وصف هذه الطائفة ، و تقريب البغية التي كانت داخلة في نفسي منهم ، حدثني عن مذاهبهم في النفس و ما يقولون فيها ، و إلى أين ينتهون من يقينهم بشأنها ، وكيف ثقتهم ببقائها بعد فناء أبدانها" ².

إن الأسئلة التي يطرحها التوحيدى هي أسئلة مولدة للحديث من جهة تؤكد لنا أننا أمام متلق مثقف و من جهة ثانية تساعد المتكلم على إستحضار معارفه و سردها على المتلقى بحسب طبيعة الموضوع ، و لم يخل التوحيدى على الوزير فتحدث في شتى المواضيع ، في الفلسفة و الدين و الأدب و العلوم وغيرها.

¹ - أبو حيان التوحيدى، الإمتاع و الموانسة ، ص 21

² - المصدر نفسه ، ج 1، ص 34

نتبين أيضا من أسئلة الوزير أنه كان عارفا بما يجري حوله و لم يكن غافلا منغمسا في الملذات يقول " حدثني أبو الوفاء المهندس عنك حديث الخراساني فأريد أن أسمعك منك بلغني أن أبا سليمان يزور في أيام الجمعة رسل ساجستان لما و يظل عندهم طاعما ناعما ، و يأنس بأنك معه فمن يحضر ذلك المكان"¹.

إن فرض الوزير لمواضيع السمر يؤكد السلطة التي يتمتع بها و يؤكد كذلك الفارق الاجتماعي بين الرجلين و هذا ما دفع بالتوحيدى إلى الإحتراس في المسامرات مراعاة لدرجة المتلقي و سلطته السياسية إلا أن هذا لم يمنعه في بعض الأحيان من الإفلات من قبضة الوزير و عدم التقيد بكل ما يطلب منه و الحديث في مواضيع يحددها هو إذ نجده يقول "عندي حديث و لا شك أن الوزير مطلع عليه عارف به"² ، فالعادة أن يختار الوزير موضوع المحادثة يسأل و التوحيدى يجب لكن الأمر إختلف هذه الليلة فقد حاول التوحيدى إثارة فضول الوزير من أجل فرض موضوع الحديث بأسلوب ذكي و يمرر ما يريد تمريره من أخبار دون إثارة غضب الوزير، و على غير عادته إفتح الليلة بكلمات المدح و الإطراء قائلا " وجرى ليلة بحضرة الوزير_ أعلى الله كلمته و أدام غبطته و والى نعمته_ أحق من دعي له و أشرف من بوهي به و أكمل من شوهدي في عصره ، حديث ابن يوسف و ماهو عليه من غثائته و رثائته و عيارته و حساسته"³ من أجل استرضاء الوزير حتى أنه إختار راويا آخر للحديث يتخفى وراءه و هو أبو علي الحسن بن علي القاضي التنوخي الذي نقل له الحديث لأنه حاول نقل هموم العامة

¹ - أبو حيان التوحيدى ، الإمتاع والمؤانسة ، ج1، ص39

² - المصدر نفسه ، ج3، ص390

³ -المصدر نفسه، الصفحة نفسها

للسلطة و دعوة السلطة للتعرف على الوضع السياسي من خلال وعي العامة بواقع الحال والعصر.

إن وعي المتلقي بما يجري حوله جعل التوحيدي يقع في مواقف محرجة ذلك أنه طلب منه أن ينقل إليه بعض الأحاديث التي كانت تدور حوله يقول " حدثني عما تسمع من العامة في حديثنا"¹ و يجب التوحيدي قائلاً " سمعت بباب الطاق قوما يقولون ، اجتمع الناس اليوم على الشط ، فلما نزل الوزير ليركب المركب صاحوا وضحكوا و ذكروا غلاء القوت و عوز الطعام و تعذر الكسب و غلبة الفقر و تهتك صاحب العيال ، وإنه أجابهم بجواب مر مع قطوب الوجه و إظهار التبرم بالإستغائة : بعد لم تأكلوا النخالة"².

لم يكن الوزير يعلم أن رأي العامة فيه سيكون على هذا النحو فاستاء للأمر و أنكره تماما و أعرب عن سخطه قائلاً " والله ما قلت هذا ، ولا خطر لي على بال و لم أقابل عامة جاهلة ضعيفة جائعة بمثل هذه الكلمة الحشناء ، وهذا يقوله من طرح الشر ، وأحب الفساد و قصد التشنيع علي و الإيحاء مني وهو هذا العدو الكلب _ يعني ابن يوسف _ كفاني الله شره ، وشغله بنفسه و نكس كيده على رأسه"³، وكان هدف التوحيدي نقل هذا الحديث و إيصال معاناة العامة إلى الوزير بطريقة لا تثير غضبه.

¹ - أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ص 177

² - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

³ - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

يظهر الوزير في كثير من الأحيان كمتلق معياري يصدر أحكاما تخص الخطاب الذي يتلقاه، هذه الأحكام التي يصدرها الوزير من حين لآخر تدل على مدى التفاعل الحاصل بينه وبين أبي حيان ومدى تجاوبه و إهتمامه بما يلقي عليه يقول " أحسنت في هذه الروايات على هذه التوشیحات و أعجبنی ترحمك على شيخك أبي سعيد فما كل أحد يسمح بهذا في مثل هذا المقام و ما كل أحد يأبه لهذا الفعل"¹.

لم تكن التعليقات أو الأحكام التي يلقيها الوزير نابعة من فراغ و إنما جاءت نتيجة تدبر و تفكر في كل ما يلقي عليه من قبل التوحيدي الذي كان يصرح أحيانا ويراوغ أحيانا أخرى في إجاباته ، وإن لم يكن الوزير يستمع بتمعن ووعي لكل ما يلقي إليه ما استطاع أن يصل إلى المعاني التي قصدها التوحيدي و ما استطاع أن يصل إلى إصدار أحكام و تعليقات تساهم في إثراء النقاش.

ساهم التفاعل و التجاوب مع المتكلم في جعل الوزير متلقيا إيجابيا يشارك السارد في نسج البنية السردية و لا يكتفي بمجرد السماع فقط بل دفعه إنفعاله و تأثره بالخطاب المسرود للتعبير عن تماهيه مع الراوي و مشاركته في الحوار، يظهر هذا التفاعل جليا من خلال الأسئلة التي كان يطرحها الوزير على التوحيدي و التي كانت تساهم في نسج البنية السردية لنصوص الإمتاع والمؤانسة يقول " ما قصرت في وصف هذه الطائفة ، وتقريب البغية التي كانت داخلة في نفسي منهم ، حدثني عن مذاهبهم في النفس و ما يقولون فيها ، و إلى أين ينتهون من يقينهم بشأنها و كيف ثققتهم بقائهم بعد فناء أبدانها"²، وعلى مر الليالي نجد الوزير لا يفوت فرصة للإستزادة في طلب العلم

¹ - أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ص 29

² - المصدر نفسه، ص 34

و المعرفة، فنجده يتقصى أحوال الناس من أدباء و شعراء و فلاسفة و وزراء حتى أنه طلب من أبي حيان أن يخط له رسالة يصف فيها ابن عباد يقول " إني أريد أن أسألك عن ابن عباد فقد انتجعتة و خبرته و حضرت مجلسه ، وعن أخلاقه و مذهبه و عاداته ، وعن علمه و بلاغته ، وغالب ما هو عليه و مغلوب ما لديه ، فما أظن أي أجد مثلك في الخير عنه و الوصف له ، على أي شاهدته بهمدان لما وافى ولكني لم أعجمه لأن الليث كان قليلا و الشغل كان عظيما و العائق كان واقعا"¹، ومن شدة حرصه على معرفة أدق التفاصيل طلب من أبي حيان نسخ رسالة له " دع هذا كله ، وانسخ لي الرسالة من المسودة ولا يمنعك ذلك فإن العين لا ترمقها و الأذن لا تسمعها و اليد لا تنسخها"²

وقد كانت أسئلة الوزير توقع التوحيدي في مواقف محرجة كثيرة ، و لو كان الوزير مجرد مستمع عادي يستقبل الحديث دون أن يبدي أي رد فعل كما كانت نصوص الليالي بهذا الغنى من ناحية الشكل و المضمون.

يظهر ابن العارض في كثير من الأحيان متفاعلا مع السرد إيجابيا في ردوده على التوحيدي مبديا رأيه يقول " هذا فن حسن ، و أظنك لو تصديت للقصاص و الكلام على الجميع لكان لك حظ وافر من السامعين العاملين و الخاضعين و المحافظين"³.

لكننا في أحيان أخرى نجده سلبيا غائبا لا يبدي تفاعلا مع التوحيدي وعدم تدخله ربما يرجع إلى أنه لا يملك خبرة في الموضوع المطروح في المجلس و يبدو ابن العارض غائبا في

¹ - أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و المؤانسة، ص 44

² - المصدر نفسه ، ص 45

³ - المصدر نفسه ، ص 151

اليلة العاشرة في حديثه عن نوادر الحيوان يقول التوحيدى " و إني قصصت هذا الفصل على الوزير كبت الله كل شأنى له في ليلتين"¹.

ب. متلق قارئ:

إن إنتقال نصوص الإمتاع و المؤانسة من المشافهة إلى الكتابة قادننا إلى الحديث عن نوع جديد من المتلقين ألا وهو القارئ ، والقارئ هو "ذلك الذي يقوم بدور المتلقى والمميز(أي الوظيفة النقدية الأساسية المتمثلة في القبول و الرفض) وهو في أحيان خاصة المنتج الذي يحاكي أو يعارض مؤلفا سابقا سواء قام بذلك كله مرة واحدة أو بكل دور على حدة"².

يمثل أبو الوفاء المهندس القارئ الأول لكتاب الإمتاع و المؤانسة وله يرجع الفضل في كتابة نصوص الليالي و الخروج بها من مجلس الوزير لتصبح في متناول العامة من الناس. لقد كان لأبي الوفاء المهندس الفضل الكبير في إحداث تغيير في حياة التوحيدى بعد الشقاء الذي لحق به طوال حياته" و ذكرت في الجملة شقاء إتصل بك في سفرك ذلك، وعناء نال منك في عرض أحوالك ، ولعمري إن السفر فعول لهذا كله و لأكثر منهم فأرعيتك بصري ، و أعرتك سمعي وساهمتك في جميع ما وقرته في أذني بالجزع و التوجع و الإستفضاع و التفجع و ضمنت لك تلافي ذلك كله بحاق الشفقة و خالص الضمير، و وعدتك صالح الحال من ثبات النية وصحة العقيدة"³.

¹ - أبو حيان التوحيدى، الإمتاع و المؤانسة، ص 139

² - محمد العمري ، نحو جمالية للتلقى ، تقديم جان ستاروباتسكي للترجمة الفرنسية لكتاب روبرت ياوس ، مجلة دراسات

سيمائية أدبية لسانية العدد 6 ، ص 41

³ - المصدر نفسه ، ج 1، ص 10

وقد أسدى أبو الوفاء لصديقه جميلا بأن جعله في جملة خدم البيمرستان ثم وصله بالوزير ابن العارض ، وكان أبو الوفاء من ندماءهم وقد وصفه ابن العارض في جملة ما وصف من أصحابه فقال " و أما أبو الوفاء فهو والله ما يقعد به من المؤانسة الطيبة و المساعدة المطربة و المفاكهة اللذيذة و المواتاة الشهية إلا أن لفظة خراساني و إشارته ناقصة هذا مع ما إستفاده بمقامه الطويل ببغداد و البغدادي إذا تخرسن كان أعلى و أظرف من الخراساني إذا تبعدد"¹.

لقد كان أبو الوفاء القارئ المعاصر لزمن إنتاج الخطاب ولعل طبيعة القارئ المثقف هي النقد و التحليل و التأويل و أحيانا الرفض أو القبول ، و الطبيعي أن تبدأ عملية النقد و التحليل بعد الإنتهاء من عملية الكتابة حيث يمكن للقارئ قراءة النص و الحكم عليه لكن الملاحظ أن قارئنا أبو الوفاء بدأت علاقته بنصوص الإمتاع و المؤانسة قبل أن تكتب ، و بما أنه كان الوسيط بين التوحيد و ابن العارض رأى أن من حقه أن يطلع على كل ما دار بينهما في المجلس و يبدو أن سلطته لم تنته عند حد الوساطة بل تطاولت إلى حد التجسس عليهما وحين تيقن من نوايا أبي حيان في أنه لن ينقل إليه بأمانة ما جرى بينهما لهذا جاء تهديده صريحا برقابته عليه قائلا " أفكان من حقي عليك في هذه الأسباب التي ذكرتها وفي أخواتها التي تركتها كراهة بك أنك تخلو بالوزير أدام الله أيامه ليالي متتابعة ومختلفة ، فتحدثه بما تحب و تريد ، وتلقي إليه ما تشاء وتختار ، وتكتب إليه الرقعة بعد الرقعة ، ولعل في عرض ذلك تغدو طورك

¹ - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع و المؤانسة ، مقدمة أحمد أمين ، ص ص ي ك

بالتشدد و تجاوز حدك بالإستغفار و تتناول إلى ما ليس لك ، و تغلط في نفسك ،
و تنسى زلة العالم و سقطة المتحري و خجلة الواثق"¹ .

لم يكن أبو الوفاء قارئاً عادياً و إنما قارئاً صاحب سلطة ، و سلطته هذه هي التي جعلته
يحظى بهذا الدور (القارئ) فهو من طلب من التوحيدى أن يكتب كل ما يجري بينه
و بين الوزى يقول " إلا أن تطلعي طلع جميع ما تحاورتما و تجاذبتما هذب الحديث
عليه، و تصرفتما في هزله و جدده و خيره و شره و طيبه و خبيثه، و باديه و مكتومه حتى
كأني كنت شاهدا معكما و رقيباً عليكم أو متوسطاً بينكما"². يظهر من كلام أبي
الوفاء المهندس أن التوحيدى رفض أن يطلع أبا الوفاء على مضمون تلك المسامرات
فجاء رد الوسيط عنيفاً ، حيث استعمل صيغة الأمر مطالباً أبا حيان بأن يكون الخطاب
المكتوب مطابقاً للخطاب المنطوق ، ويمثل هذا الأمر دعوة للكتابة المشروطة.

و تجاوزت سلطة القارئ الأمر بالكتابة و وصلت حد التهديد و الوعيد فيظهر أبو الوفاء
أمراً مقتدراً في حين يظهر التوحيدى مأموراً مغلوباً على أمره ، فيقول أبو الوفاء " و متى
لم تفعل فانتظر عقب استيحاى منك و توقع قلة غفولى عنك ، و كأني بك و قد
أصبحت حيران حيران يا أبا حيان ، تأكل إصبعك أسفا و تزدرد ريقك لهفا على ما
فاتك من الحوطة لنفسك ، و النظر في يومك لغدك"³ .

لقد حاول أبو الوفاء إستعمال كل أساليب التهديد و الإهانة و الإستحقار من أجل
الوصول إلى مبتغاه ، وهو الإطلاع على كل ما يجري في مجلس الوزى و قد نجح في

¹ - أبو حيان التوحيدى ، الإمتاع و المؤانسة ، ج1، ص12

² - المصدر نفسه ، ج1، ص13

³ - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

ذلك إذ نجد التوحيدى يعتذر و يلبى الأمر خوفا من مغبة ما سيلقاه إن خالف رغبة أبو الوفاء يقول " أنا سامع مطيع و خادم شكور ، لا أشترى سخطك بكل صفراء و بيضاء فى الدنيا ، ولا أنفر من إلتزام الذنب و الإعتراف بالتقصير ، وقلبي يهفو و يجمع و مثلك يعفو ويصفح ، وأنت مولى وانا عبد ، و أنت آمر وأنا مؤتمر و أنت ممثل وأنا ممثل و أنت مصطنع و أنا صنيعة"¹.

يقر أيزر أن متعة القارئ تبدأ " عندما يصبح هو نفسه منتجا أى عندما يسمح النص له بأن يأخذ ملكاته الخاصة بعين الإعتبار "² ، حيث يقوم القارئ بإنتاج نص جديد مواز لنص المؤلف عن طريق آليات القراءة المختلفة و مع ظهور مقولة موت المؤلف أصبح القارئ " الموقع الحقيقى على شهادة حياة النص لأنه الذى يحكم على ما يتلقاه من أى أديب ، فهو الذى يضفى عليه بالتالى السمة الإبداعية أو قل هو الذى يقر له بها"³، إلا أن هذه المقولة لا تنطبق على نصوص الإمتاع و المؤانسة ، فأبو الوفاء المهندس لم يكن القارئ فقط و إنما كان الموقع على شهادة ميلاد هذه النصوص لأنه أمر التوحيدى بكتابتها و لم يكتب بهذا الأمر بل تعداه إلى إملاء جملة من الشروط التى تزيد من جودة العمل ونجاحه و التى تؤكد الوظيفة الإخبارية يقول "و إذا عزمت فتوكل على الله و ليكن الحديث على تباعد أطرافه و إختلاف فنونه مشروحا ، و الإسناد عاليا متصلا ، و المتن تاما بينا و اللفظ خفيفا لطيفا ، والتصريح غالبا متصدرا ، والتعريض قليلا يسيرا ، وتوخ الحق فى تضاعيفه و أثناءه ، والصدق فى

¹ -أبو حيان التوحيدى،الإمتاع و المؤانسة ،ص14

² -فولفغانغ أيزر ، فعل القراءة ، ص56

³ -حبيب مونسي ، فعل القراءة النشأة والتحول، ص 161

إيضاحه و إثباته ، و اتق الحذف المخل بالمعنى ، و الإلتاق المتصل بالهذر، و احذر
تزيينه بما يشينه و تكثيره بما يقلله عما لا يستغنيه عنه ، و أعمد إلى الحسن فزد من
حسنه ، و إلى القبيح فأنقص من قبحه و أقصد إمتاعي بجمعة نظمه ونثره ، و إفادتي
من أوله إلى آخره فلعل هذه المثاقفة تبقى و تروى ، و يكون في ذلك حسن
الذكرى، و لا تومئ إلى ما يكون الإفصاح عنه أحلى من السمع و أعذب من النفس
و أعلق ، و لا تفصح عما تكون الكناية عنه أستر للعب و أنفى للريب"¹.

إن هذه الشروط التي فرضها أبو الوفاء على التوحيدى تتجه إلى المعيارية التي تحدد
المقبول و اللامقبول من الكلام و المسموع و المرفوض سرده من ناحية الصواب و الخطأ،
الإثبات و الحذف و التكثر و التقليل و الحسن و القبيح ، و الإفصاح و الكناية و الريب
و العيب و الحقيقة و ليس المهم عنده التمييز بين الشعر و النثر بقدر ما يهمه وصول
الإمتاع و هو الهدف المنشود.

يفرض أبو الوفاء شروط أخرى لكيفية الكناية كعدم إلتزام التكلف في العمل لأنه قد
يؤدي إلى طغيان الخيال و الوهم الذي يعتبر في نظره شديد الإلتشار و الطغيان على
اللسان و الكلام يقول " الكلام صلف تياه لا يستجيب لكل إنسان ، و لا يصحب
كل لسان ، و خطره كثير ، متعاطيه مغرور وله أرن كأرن المهر و إناء كإناء
الحروف، و زهو كزهو الملك ، و خفق كخفق البرق وهو يتسهل مرة و يتعسر مرارا
و يذل طورا و يعز أطوارا ، و مادته من العقل و العقل سريع الحؤول ، خفي
الخداع، و طريقه على الوهم ، و الوهم شديد السيلان و مجراه على اللسان ،

¹ - أبو حيان التوحيدى الإمتاع و المؤانسة، ج1، ص 15

واللسان كثير الطغيان ، وهو مركب من اللفظ اللغوي و الصوغ الطباعي ،
والتأليف الصناعي ، والإستعمال الإصطلاحي"¹.

لم يكن أبو الوفاء متلقيا عاديا و إنما كان قارئاً خبيراً واعياً مثقفاً ناقداً إستطاع من
خلال ثقافته إدراك طبيعة العمل الفني فنجده يتحدث عن التعبير الفني ووظائفه إبتداءاً
من مرحلة معاناة المبدع و هي مرحلة مصاحبة للكلام سابقة لمرحلة التركيب ثم ينتقل
لحديث عن الطبيعة التركيبية للكلام ، اللفظ اللغوي ، والصوغ الطباعي ، والتأليف
الصناعي ، ثم ينتقل إلى تداول الكلام أي الطبيعة الإصطلاحية للغة ثم يحتتم بالحديث
عن الوظيفة الرمزية المتصلة بالتأويل"وبهذا البون يقع التباين و يتسع التأويل"².

إن هذا الحديث يدل على وعي أبي الوفاء بوظائف اللغة وكل ما يخشاه هو أن يتراح
التوحيدي إلى الوهم فتأتي الصلة بين اللفظ و المعنى متبانة.

عادة ما يكون القارئ غائبا في الخطاب المكتوب وحتى وإن كان حاضرا فهو مجهول
غير محدد في كثير من الأحيان ، لكن الأمر يختلف في نصوص الإمتاع والمؤانسة إذ نجد
قارئنا أبا الوفاء الحاضر الغائب في الخطاب من خلال الرسالة المبتوثة في المقدمة والتي
أملى من خلالها شروطه ، وقد وضعها التوحيدي في مقدمة الكتاب لأن أبا الوفاء كان
صاحب سلطة عليه فكان مضطرا لأن يقوله بدوره في إنتاج هذه النصوص و على
الوجه الذي يرضاه.

¹ - أبو حيان التوحيدي الإمتاع و المؤانسة ، ص 15

² - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

يظهر منذ الوهلة الأولى أن أبا الوفاء هو المتلقي الأول للخطاب المكتوب يقول التوحيدى " وصلت أيها الشيخ أطال الله حياتك أول ليلة إلى مجلس الوزير"¹، فهو متلق غائب في الحديث و حاضر في الكتابة ، وعلى الرغم من أننا لا نرى تدخلاته و لا نسمع صوته في الخطاب و لكن التوحيدى يذكرنا بين الحين و الآخر أن الخطاب موجه إليه يقول " ثم إني أيها الشيخ _أحيك الله لأهل العلم و أحي بك طالبيه ، ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر الفرات"²، كما أنه يوجه إليه الحديث في خاتمة الجزء الأول من الكتاب يقول " قد رأيت أيها الشيخ _حاطك الله عند بلوغي هذا الفصل أن أختتم الجزء الأول بما إنتهى إليه ، و أشفعه بالجزء الثاني على سياق ما سلف نظمه ونشره، غير عائج على ترتيب يحفظ صورة التتيف على العادة الجارية لأهله ، و عذري في هذا واضح لمن طلبه ، لأن الحديث كان يجري على عواهنه بحسب السانح و الداعي ، وهذا الفن لا ينتظم أبدا لأن الإنسان لا يملك ما هو به وفيه ، و غنما يملك ما هو له وإليه ، وهذا فصل يحتاج إلى نفس مديد و رأي يصدر عن تأييد و تشديد و السلام و الحمد لله وحده ، و صلواته على سيدنا محمد النبي و آله الطاهرين ، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين و الحمد لله رب العالمين"³.

2_ أبو حيان التوحيدى ، الإلتاع و المؤانسة ، ج1، ص32

2 - المصدر نفسه ، ج1، ص92

3 - المصدر نفسه، ج1 ، ص160

والملاحظ هنا أن التوحيد كان كلما انتهى من جزء بعثه إلى أبي الوفاء المهندس و أنه لم يراعي أي تصنيف أو ترتيب لنصوصه لأن هدفه كان سرد الأحاديث التي جرت بينه وبين الوزير خوفاً من أن يطاله اللوم والعقاب.

في خاتمة الجزء الثاني نجده أيضاً يوجه حديثه إلى أبي الوفاء مذكراً بأن الكتاب بأجزائه الثلاثة موجهة إليه يقول "فأرجع و أقول قد أوصلت إليك الجزأين الأول والثاني على يد غلامك فائق ، وهذا الجزء الثالث قد والله نقت فيه كل ما كان في نفسي من جد وهزل ، وغث وسمين ، وساحب ونضير ، وفكاهة وطيب و أدب و احتجاج ، واعتذار وإحتلال و إستدلال و أشياء من طريف المماحة على ما رسم لي ، وطلب مني ، و لأنه آخر الكتاب ختمته برسالة وصلتها بكلام في خاص أمري ستقف عليه و ستأنف نظرا في حالي " ¹.

كان أبو حيان يتوجه إلى أبي الوفاء المهندس بالحديث بين الحين والآخر مستعظفاً إياه و مؤكداً على أنه لم يخل عليه بشيء و أنه نقل إليه كل ما دار بينه و بين الوزير يقول "وقد جمعت لك جميع ما شاهدته في هذه المدة الطويلة ليكون حظك من الكرم والمجد موفورا ، ونصبي من إهتمامك بأمرى وجذبك بباعى و إنقاذك إياى من أسرى تاما....." ².

و على الرغم من أن الحديث كان موجهة إلى أبي الوفاء المهندس بالدرجة الأولى بإعتباره القارئ الأول إلا أننا لم نعثر في هذا الكتاب على رد له سواء بالإستحسان أو الإستهجان و يمكن أن نرجع ذلك إلى سببين : إما لأن أبا الوفاء كان راضيا عن

¹ - أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع و الموانسة ، ج2، ص271

² - المصدر نفسه ، ص 290

كيفية تدوين التوحيدى للمسامرات لأنه إلتزم بكل الشروط المفروضة عليه ، و إما أن تكون إجابته و تعليقاته مؤجلة إلى حين إستجماع المسامرات و تدوينها كلية و يرجع غياب إجابة المتلقى إلى طبيعة التوصلات الكتابية التي يغيب فيها المتلقى و تدخلاته.

لقد كان أبو الوفاء المهندس القارئ الأول لنصوص الإمتاع و المؤانسة لأنه صاحب الفضل في كتابتها إلا أننا يمكن أن نتحدث عن قراء آخريين لهذه النصوص ، وقد أقر إيكو " بأن تعدد القراءة لا حد له ، ثم يضيف _ عمليا _ أن القراءات تتوقف عندما يتوقف الشكل عن كونه مثيرا لنا"¹

ويمكن القول أن جانب الإثارة في النصوص يبقى قائما لأن القراء يختلفون بإختلاف الأمكنة و الأزمنة ، ولكل قارئ رؤيته و زاوية نظره التي يقرأ من خلالها النصوص. ونلاحظ من خلال الرسالة المدونة في إفتتاحية الكتاب أنها لم تكن موجهة فقط لأبي الوفاء المهندس بإعتباره القارئ الأول و المعاصر لجريان الخطاب و إنما كانت موجهة للقارئ الناقد الذي يختلف و يتعدد بتعدد الأزمنة و الأمكنة .

حاول التوحيدى تعريف قراءه المختلفين بمراحل إنجاز كتابه و الشروط المفروضة عليه، وهو من خلال مقدمته أراد أن يؤكد لقراء هذا الكتاب أنه قدم خلاصة فكره و تجاربه ، وأنه كان يستحق المكانة التي تبوأها في مجلس الوزير ابن العارض ، كما حاول إيصال المعاناة و الضغوطات التي سلطت عليه من قبل أبي الوفاء المهندس.

لقد مثلت هذه الوثيقة المفتاح لكل القراء من أجل فهم ما كان يجري في مجلس الوزير و لنا أن نتصور هذا الكتاب من دون هذه المقدمة هل كان باستطاعة متلقى نصوص الإمتاع و المؤانسة قراءة هذه النصوص وفهمها بنفس الطريقة؟ فالمسألة تتعدد كلما

1- حبيب مونسي ، فعل القراءة النشأة والتحول، ص 161

إبتعدنا زمانيا عن فترة إنتاج الكتاب ، فقارئ القرن الحالي يختلف عن قارئ القرن الرابع الهجري على جميع الأصعدة سواء كان قارئاً عادياً أو ناقداً متمرساً وقد وعى التوحيدي هذا الفارق لذلك نجده برأ نفسه أمام المآخذ التي يمكن أن يأخذها عليه القارئ في المتن فيما يتعلق بتشتت النسق و البنية في الكتاب و حضور الخطاب الموجه مرارا إلى أبي الوفاء المهندس في متن الأجزاء الثلاثة.

متلق متكلم/كاتب:

يمثل أبو حيان التوحيدي المتكلم في الخطاب الشفوي و الكاتب في الخطاب المكتوب، فالتوحيدي تكلم وكتب لكن هذين الفعلين لم يأتيا من فراغ و إنما كانا نتيجة مجموعة من الشروط جعلته هو أيضا يحتل موقع المتلقي فقد كان متلقيا لشروط ابن العارض ثم لشروط أبي الوفاء المهندس ، متلقيا مغلوبا على أمره فهو العبد الضعيف الذي كان يبحث عن الجاه و الحضوة و المكانة الإجتماعية اللائقة به ، فكان لزاما عليه أن يقبل بالشروط المفروضة عليه خوفا من العقاب و الحرمان.

يبدو التوحيدي متلقيا خاضعا حريصا على إرضاء الوزير من جهة ، و من جهة ثانية واثقا من واسع علمه و غزير ثقافته يقول "فقلت قبل كل شيء أريد أن أجاب عليه يكون ناصري على ما يراد مني فإني إن منعتك نكلت و إن نكلت قل إفصاحي عما أطلب به و خفت الكساد ، وقد طمعت بالنفاق و انقلبت بالخيبة وقد عقدت خنصري على المسألة"¹.

وبدوره يملي التوحيدي شروطه و أهمها رفع الكلفة بين المتكلم و السامع ويرجع طلبه هذا إلى الفارق الكبير بين الرجلين من حيث موظف بسيط و يستدعي هذا التباين

¹ - أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ج1، ص23

الإجتماعي أسلوبا في الحوار يقوم أساسا على مخاطبة الوزير بصيغة الجمع و الألقاب السامية و بالدعاء المتواصل ، يقول التوحيدى " يؤذن لي في كاف المخاطبة و تاء المواجهة حتى اخلص من مزاحمة الكناية ومضايقه التعريض ، فأركب جدد القول من غير تقية ولا تحاش ولا محابة و لا انجاش"¹.

طالب التوحيدى برفع الكلفة لتكون لديه حرية أكبر في الكلام فيكون الخطاب مسائرا لشروط السامع لا حرج فيه ولا تكلف .

و إذا نظرنا إلى الخطاب المكتوب نجد أن سلطة أبي الوفاء المهندس و شروطه تبدو أكثر حدة من سلطة الوزير إذ يبدو التوحيدى متلقيا مغلوبا على أمره فإذا كان قد قبل بشروط الوزير بصدر رحب لأنه كان يرى في إرضاءه نيلا للحظوة و الجاه ، فإن قبوله لشروط أبي الوفاء المهندس جاء تحت الضغط و التهديد ، فقد كان عليه القبول لأنه برفضه سيفقد كل ما ناله سابقا من جاه و حضوة و مكانة كان يحلم بها طوال حياته، يقول التوحيدى " هذا وأنا أفعل ما طالبتني به من سرد جميع ذلك إلا أن الخوض فيه على البديهة في هذه الساعة يشق ويصعب بعقب ما جرى من التفاوض ، فإن أذنت جمعته كله في رسالة تشمل على الدقيق و الجليل و الخلو والمر و الطري والعاسي و المحبوب والمكروه"²

من هنا يقر التوحيدى أن فعل الكتابة جاء بأمر من أبي الوفاء المهندس وأنه سيفعل ذلك و يحتاج إلى وقت أطول حتى يستطيع نقل كل مادار في المجلس .

¹ - ابو حيان التوحيدى ، الإمتاع والمؤانسة ، ج1، ص23

² - المصدر نفسه، ج1، ص14

حاول التوحيدى إستماله أبى الوفاء و إسترضاه قائلا " أقول أيها الشيخ عطف الله قلبك علي و أهلك الإحسان إلي في جواب جميع ما قلته واجدا علي ، عاتبا وقابضاو باسطا ومرشدا و ناصحا، ما يعرف الحق فيه ويستبين الصواب منه غير خائن ولا جانح"¹.

تظهر سلطة أبى الوفاء على التوحيدى واضحة من خلال إجابته يقول "أنا أدعك واجدا عليا ، و أرقد و أنت ماقت لي ، و أجد حس نعمة أنت وهبتها إلي ، وألذ عيش أنت أذقتني حلاوته ، أنس أياديك وهي طوق رقبتى وتجاه عيني و حشو نفسى وراحة علمى وزاد حياتى ومادة روحى"².

وقد حاول التوحيدى إقناعه بأنه لم ينس فضله عليه و الذى أوصله للمكانة التى تبوأها فى مجلس الوزيرحتى يمتص غضبه و يخفف من حدة خطابه المليء بالتهديد والوعيد والخط من قيمته.

ومن جهة ثانية حاول تقديم التبريرات التى دفعته لكتمان ما كان يجري فى مجلس الوزير" فأول ما أبدؤك به أنى ظننت ظنا لاكيقين أن شيئا مما كنت فيه مع الوزير_أدام الله أيامه_ وقصم أعداءه ليس مما يهملك ولا هو مما يقرع سمعك سماعك له ، وحسبت أيضا أنى إن بدأت بشيء منه رذلتني عليه وتنقصتني به ،وزريت علي فيه ، و أنك ربما قلت لما بدأت بما لم أسألك عنه و لم أرفض لك فيه ، هلا كظمت

¹ - أبو حيان التوحيدى ،الإمتاع والمؤانسة ،ص16

² - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

علي جرتك و طويت ما بين جنبيك ، وما عليا مما يدور بين صاحب وخادمه و الرؤساء و الناظرين في أمور الدهماء و المتصفحين لأحوال العامة والخاصة"¹ .

من خلال هذا الحديث إستطاع التوحيدى أن يوهم أبا الوفاء بأنه كان يعتقد أن ما كان يجري بينه وبين الوزير لا يهمه لذلك لم يجرؤ على الحديث عنه ولما علم بمدى رغبته في الإطلاع عليه فإنه سيروي له كل الأحاديث يقول "وإذا جرى الأمر على غير ما كان في حسابي وتلبس بظني فأني أهدي ذلك كله بغثاته وسمانته وحلاوته ومرارته ورقته و خثارته"²

ومن هنا نستخلص أن التوحيدى كان متلقيا متجاوبا مع الوزير بإرادته لأنه كان يحاول أن ينال الحضوة إلا أنه كان من جهة ثانية متلقيا مضطرا مضطهدا راضخا لرغبته أبا الوفاء المهندس خوفا من أن يفقد ما ناله خلال مسامراته مع الوزير إلا أنه رغم ذلك كان ذكيا في تعامله مع الرجلين لأنه إستطاع إرضاءهما وتمرير أفكاره التي كانت في الكثير من الأحيان تتعارض مع أفكارهم.

¹ - أبو حيان التوحيدى ،الإمتاع والمؤانسة ،ج1،ص19

² - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

الخاتمة

الخطبة

أفضت هذه الدراسة التي حاولنا من خلالها الكشف عن مستويات تلقي السرد في الإمتاع و المؤانسة إلى النتائج التالية:

كانت حياة التوحيدي سلسلة من الإخفاقات ، إذ لم يظفر بالحب و الترحاب من قبل الوزراء و الملوك إلا ما جاء استثناء على الرغم من سعة ثقافته ، وقدرته العلمية و الأدبية إلا أن هذا لم يشفع له على الإطلاق بأن يحظى بما يجب أن يكون عليه العالم والمفكر والأديب.

مر إنتاج الإمتاع و المؤانسة بمرحلتين ، مرحلة المشافهة و مرحلة الكتابة ، ولما جاءت الكتابة بسبب ظغوط الوسيط أبي الوفاء المهندس الذي يعتبر المتلقي الغائب للخطاب المكتوب، كان لزاما على التوحيدي الإستزادة من أجل ملء العديد من الفجوات لحصول المعنى و بلوغه إلى المتلقي.

إن التغييرات التي طرأت على الخطاب حين إنتقاله من وضعية المشافهة إلى وضعية الكتابة، صحبتها تغييرات على مستوى المتلقي حيث تم الإنتقال من الحديث عن متلق سامع إلى متلق قارئ، هذا القارئ قد يكون معلوما أو مجهولا ، أما القارئ الأول هو أبو الوفاء المهندس ، والقارئ الثاني مجهول يتعدد مع مرور الأجيال ، ويمكن القول أنه كل شخص يعرف القراءة.

يرتكز مفهوم السرد التوحيدي على الخبر ، الذي يقوم عادة على رصد الأحداث و الأفعال التي تصدر عن الشخصيات و نقلها مع تحري الصدق، والحوار الذي يعتمد على تقنيات مختلفة منها السؤال، الذي احتل منذ الوهلة الأولى مكانة مهمة في محاورات التوحيدي مع الوزير فكان مفتتح الحوار في مختلف الجلسات ، و السؤال يستدعي

بالضرورة جوابا وهذا ما شكل نصوص الليالي ، بالإضافة إلى ذلك نجد التعليق الذي اعتمد عليه ابن العارض في تفاعله مع خطاب التوحيدي.

إعتمد التوحيدي في مسامراته على أسلوب الرواية الذي اتخذه وسيلة يتخفى وراءها للجهر ببعض آرائه التي كانت تتعارض و آراء الوزير ومن جهة أخرى لإعطاء مصداقية أكثر لمحاوراته ، ولتأكيد صدقه عزز رواياته بالإسناد الذي ارتبط أساسا بالحديث النبوي الشريف و صار فيما بعد جزءا من تقاليد البنية الثقافية ، ومظهرها تفرض العادة و تقاليد الرواية وجوده.

تعددت مصادر الحديث لدى التوحيدي ، فوجدناها لا تخرج عن عناصر ثلاثة هي :

الذاكرة : حيث كان التوحيدي يعتمد عليها كثيرا في الإجابة عن أسئلة ابن العارض،

المتصرفية : وهي كل ما تعلق بأقوال التوحيدي و تعليقاته التي كانت حاضرة على طول الليالي ، مع غلبة الجانب العقلي على الجانب التخيلي .

الحافظة : حيث تدل كثرة الأقوال والشواهد المنسوبة إلى أصحابها على قوة الحافظة لديه.

شكلت الثقافة الموسوعية لدى التوحيدي ، والتنوع المعرفي الذي كان يتمتع به تنوعا على مستوى المواضيع المسرودة ، فنجد الفلسفة ، المنطق، الأدب، الحكمة، الدين ، النوادر وحكايات المجون لأن التوحيدي كان فيلسوفا و نحويا و شاعرا و فقيها.

سلك التوحيدي في مسامراته مسلك شهرزاد من حيث تقسيم الكتاب إلى ليال متتابعة لكن ما يميزه هو إختتامه بما أطلق عليه ملحة الوداع و هي عادة ما تكون حديثا طريفا يختتم به الجلسة عندما يشعر بالتعب و النعاس.

تميزت نصوص الإمتاع و المؤانسة بوجود نوعين من الرواة، أولهما الراوي الغائب عن الحكاية التي يسردها ، يروي حكاية غيره ويطلق عليه الراوي الغيري ، وثانيهما الراوي الحاضر في الرواية التي يسردها ويطلق عليه الراوي الذاتي لأنه يسرد أحداثا هو بطلها ، وقد إستعان التوحيدي بشخصيات مختلفة منهم ساردين أو متحدثين وناقلين و أصحاب نادرة.

شكل المجلس الفضاء الذي جرت فيه المسامرات بين ابن العارض و التوحيدي ، حيث كان لابن العارض مجلسه الخاص و المميز و هي سمة ميزت الوزراء في القرن الرابع الهجري حيث كان لكل مجلسه الذي إختار فيه ندماءه و مسامريه ، بل تعداه إلى أكثر من هذا إلى اختيار مواضيع مسامراته.

إختار التوحيدي الليل ليكون زمنا لمحدثاته مع ابن العارض بوصفه اللحظة التي ينطلق فيها الحكيم ، فكان الإطار الذي جرى فيه سرد الأحاديث و تبادل المعرفة والمتعة ، وعلى هذا الأساس إتخذ التوحيدي من الليلة وحدة لتقسيم أحاديثه فجاءت مسامراته مقسمة إلى ليل إبتدأت من الليلة الأولى التي انعقد خلالها الإتفاق حول مشروع المثاقفة، إلى الليلة الأربعين التي تعد آخر ليلة جمعت الوزير مع التوحيدي ، والواضح أنه كان متأثرا في تقسيمه هذا بكتاب ألف ليلة وليلة.

شكل زمن الكتابة مرحلة زمانية ثانية من مراحل إنجاز كتاب الإمتاع والمؤانسة ، ومن ثم أصبح لهذه النصوص زمانين متباعدين ، زمن الحكاية أو زمن الحدث و زمن الكتابة، هذا التباعد خلق نوعا من الإضطرابات في بنية الليالي.

مثل الوزير ابن العارض المتلقي السامع لأحاديث الإمتاع و المؤانسة ، وهو صاحب مجلس ومقام يحظى بمكانة إجتماعية وسياسية مرموقة مكنته من فرض جملة من الشروط

على مسامره، وهو متلق معياري يصدر أحكاما تخص الخطاب الذي يتلقاه، وهذا يدل على مدى التفاعل الحاصل بينه وبين أبي حيان ومدى تجاوبه واهتمامه بما يلقي عليه.

ساهم التفاعل و التجاوب مع المتكلم في جعل الوزير متلقيا إيجابيا، يشارك السارد في نسيج البنية السردية ولا يكتفي بمجرد السماع فقط بل دفعه إنفعاله و تأثره بالخطاب المسرود للتعبير عن تماهيه مع الراوي و مشاركته في الحوار ، يظهر هذا التفاعل جليا من خلال الأسئلة التي كان يطرحها الوزير على التوحيدي.

يظهر ابن العارض أحيانا متلقيا إيجابيا ، وأحيانا أخرى نجده سلبيا غائبا لا يبدي تفاعلا مع التوحيدي.

مثل أبو الوفاء المهندس المتلقي القارئ ، والقارئ الأول لكتاب الإمتاع و المؤانسة، وكان قارئاً صاحب سلطة ، وسلطته هذه هي التي جعلته يحظى بهذا الدور (القارئ) ، فكان الموقع على شهادة ميلاد هذه النصوص لأنه أمر التوحيدي بكتابتها ولم يكتف بهذا الأمر بل تعداه إلى إملاء جملة من الشروط التي تزيد من جودة العمل و نجاحه.

عادة ما يكون القارئ غائبا في الخطاب المكتوب ، وحتى وإن كان حاضرا فهو مجهول غير محدد في كثير من الأحيان ، لكن الأمر يختلف في نصوص الإمتاع و المؤانسة فقد كان أبو الوفاء القارئ الحاضر الغائب من خلال الرسالة الموثقة في المقدمة والتي أملى من خلالها شروطه.

لم تكن الرسالة الموثقة في المقدمة موجهة لأبي الوفاء لأنه لم يكن القارئ الوحيد لنصوص الإمتاع و المؤانسة ، و إنما كانت موجهة كذلك للقارئ الناقد الذي يختلف و يتعدد بتعدد الأزمنة والأمكنة ، ولهذا شكلت هذه الوثيقة المفتاح لكل القراء من أجل فهم ما كان يجري في مجلس الوزير ، ولنا أن نتصور هذا الكتاب من دون هذه المقدمة!

هل كان باستطاعة متلقي نصوص الإمتاع والمؤانسة قراءة هذه النصوص و فهمها بنفس الطريقة ؟ فقارئ القرن الحالي يختلف عن قارئ القرن الرابع الهجري على جميع الأصعدة، سواء كان قارئاً عادياً أو ناقداً متمرساً .

مثل التوحيدي المتلقي المتكلم في الخطاب الشفوي / الكاتب في الخطاب المكتوب ، فقد كان متلقياً لشروط ابن العارض ثم لشروط أبي الوفاء المهندس ، متلقياً مغلوباً على أمره فهو ذلك العبد الضعيف الذي كان يبحث عن الجاه و الحضوة و المكانة الإجتماعية اللائقة ، فكان لزاماً عليه أن يقبل بالشروط المفروضة عليه خوفاً من العقاب والحرمان .

L'idéologème	إيدولوجيم
L'attribution	الإسناد
Structure narrative	البنية السردية
Commentaire	التعليق
Reception	التلقي
Dialogue	الحوار
Discours	الخطاب
Discours écrit	الخطاب المكتوب
Discours oral	الخطاب الشفوي
Mémoire	الذاكرة
Narrateur	الراوي
Message	الرسالة
Temps	الزمن
Temps du recit	زمن السرد
Temps d'écriture	زمن الكتابة
Question	السؤال
Contexte	السياق

L'écouteur	السامع
Le code	الشفرة
L'espace	الفضاء
Espace géographique	فضاء جغرافي
Espace textuel	فضاء نصي
Canal	قناة الإتصال
Parole	الكلام
Recepteur	متلقي
Recepteur positif	متلقي إيجابي
Recepteur special	متلقي خاص
Recepteur écouteur	متلقي سامع
Recepteur négatif	متلقي سلبى
Recepteur lecteur	متلقي قارئ
Recepteur interactif	متلقي متفاعل
Patrimoine narratif	الموروث السردى
Document clé	الوثيقة المفتاح

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

أولاً_ القرآن الكريم

ثانياً _ المصادر

2_ التوحيدى أبو حيان ، الإمتاع والمؤانسة ، المجموعة الكاملة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان صححه وضبطه وشرح غريبه خليل المنصور

3_ التوحيدى أبو حيان ، الإمتاع والمؤانسة ، تحقيق أحمد أمين و أحمد الزين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت_ لبنان

4_ التوحيدى أبو حيان ، المقابسات ، حققه وقدمه محمد توفيق حسن ط2، دار الآداب بيروت _ بغداد 1191

5_ التوحيدى أبو حيان الإشارات الإلهية ، تحقيق و داد القاضى ، ط2، دار القاضى دار الثقافة ، بيروت ، لبنان 1191

6_ التوحيدى أبو حيان ، الهوامل والشوامل ، تحقيق أحمد أمين و السيد صقر لجنة التأليف والترجمة 1151

7_ الحموي ياقوت ، معجم الأدباء ، ج15 ، دار إحياء التراث العربى بيروت لبنان

ثالثاً مراجع باللغة العربية

9_ أبو أحمد حامد ، الخطاب والقارئ، مركز الحضارة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة 2003

1_ ابراهيم زكريا ، أبو حيان التوحيدى ، أديب الفلاسفة و فيلسوف الأدباء الطبعة 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب

- 10_ ابراهيم عبد الله ، السردية العربية ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ط2، المؤسسة العربية للدراسات و النشر 2000
- 11_ مجراوي حسن بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي ، ط1، 1110
- 12_ بلعلی أمانة ، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، دار الحوار للنشر و التوزيع ، سوريا ، ط1، 1117
- 13_ بن تميم علي ، السرد و الظاهرة الدرامية ، دراسة في التحليلات الدرامية في السرد العربي القديم، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، الغرب ط1، 2003
- 14_ التريكي فتحي، أفلاطون و الديالكتيكية، الدار التونسية للنشر تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1196، ط2،
- 15_ حبيبي ميلود ، النص الأدبي بين التلقي و إعادة الإنتاج من أجل بيداغوجيا تفاعلية للقراءة والكتابة ، كلية علوم التربية الرباط ، نظرية التلقي أشكال و تصنيفات
- 16_ الرفيق عبد الوهاب ، بن صالح هند ، أدبية الرحلة في رسالة الغفران، دار محمد علي الحامي ، الجمهورية التونسية ، الطبعة الأولى ، جانفي 1111
- 17_ الشيخ محمد عبد الغني ، أبو حيان التوحيدي رأيه في الإعجاز وأثره في الأدب و النقد ج1، الدار العربية للكتاب
- 19_ ضيف شوقي ، العصر العباسي الثاني ، ط9 دار المعارف
- 11_ عبد الستار ناهضة ، بنية السرد في القصص الصوفي ، المكونات والوظائف و التقنيات منشورات إتحاد الكتاب العرب 2003
- 20_ عبد الواحد عمر ، السرد و الشفاهية ن دراسة في مقامات بديع الزمان الهمداني ، دار الهدى للنشر و التوزيع ط2

21_ الكعبي ضياء ، السرد العربي القديم ، الأنساق الثقافية و إشكالية التأويل ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط1، 2005

22_ الكيلاني إبراهيم ، أبو حيان التوحيدي ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر

23_ مرشدة عبد الرحيم، الفضاء الروائي ، الرواية في الأردن نموذجاً، عمان ، وزارة الثقافة ، 2002،

24_ مبارك محمد ، استقبال النص عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، الطبعة الأولى 1111

25_ موسى بشرى ، نظرية التلقي أصول وتطبيقات ، المركز الثقافي العربي ط1، 2001

26_ مونسي حبيب ، فعل القراءة النشأة والتحول ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، 2001

27_ لحميداني حميد ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1 ، 1111 ،

29_ المقدسي أنيس ، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي

21_ وتيكي كميلا ، كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة (مقاربة تداولية) دار قرطبة الطبعة الأولى 2004

30_ يجاوي رشيد ، شعرية النوع الأدبي ، أفريقيا للشرق

31_ يقطين سعيد ، الرواية والتراث السردي، المركز الثقافي العربي، ط1، أوت 1112

32_ يقطين سعيد ، السرد العربي مفاهيم وتجليات ، رؤية للنشر والتوزيع / 2006

33_ يقطين سعيد ، الكلام والخبر، المركز الثقافي العربي، ط1، 1117

رابعاً المراجع المترجمة إلى العربية

- 34_ إيزر فولفغانغ ، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوبفي الأدب ، ترجمة حميد
لحميداني ، الجليلي الكدية منشورات مكتبة المناهل
35_ بوتور ميشال ، بحوث في الرواية الجديدة ، ترجمة فريد أنطوانيس ، منشورات
عويدات ، بيروت الطبعة2، 1192
36_ ريكور بول ، نظرية التاويل الخطاب وفائض المعنى ترجمة سعيد الغانمي ، المركز
الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط 1 ، 2003
37_ هولب روبرت ، نظرية التلقي ترجمة عز الدين اسماعيل جدة 1114

خامساً المعاجم العربية

- 39_ ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت 1195
31_ ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، 2000 ، المجلد2

سادساً المجلات و الدوريات

- 40_ الأعرج واسيني ، الكتابة تراجمياً التوحيدي ، نص الخيبة والنور ، مجلة فصول أبو حيان
التوحيدي
41_ مسعود محمد أحمد ، كتابات معاصرة ، مجلة الإبداع و العلوم الإنسانية ، مجلد 5 عدد
20 كانون الأول 1113 كانون الثاني
42_ منير وليد نزع النفي عند أبي حيان التوحيدي عن البعد النفسي الإجتماعي في
الرؤية الصوفية، مجلة فصول ، أبو حيان التوحيدي
43_ الشهري ظافر بن عبد الله ، من صور التلقي في النقد العربي القديم، المجلة
العلمية لجامعة الملك فيصل للعلوم الإنسانية و الإدارية مجلد1— عدد1، مارس
2001

44_حميداني حميد ، مستويات التلقي القصصة القصيرة نموذجاً ، مجلة دراسات سمائية

أدبية لسانية، عدد خاص حول جماليات التلقي عدد6 خريف شتاء 1112

سابعا المواقع الإلكترونية

45_موقع ويكيبيديا

<http://ar.wikipedia.org>

46_ <http://zendal.maktoobblog.com>

الفصل الأول:

- تمهيد 2
- 1 . سيرته..... 5
- 1.1. إسمه..... 5
- 1.2. أصله..... 6
- 3.1. مولده..... 1
- 4.1. وفاته..... 11
2. مظاهر الحياة عصر التوحيد..... 14
- 1.2. الحياة السياسية..... 14
- 2.2. الحياة الإجتماعية والإقتصادية..... 16
- 3 . إتصاله بالوزراء..... 19
4. بيئته الثقافية..... 24
5. مهنة التوحيد..... 26
6. أساتذته..... 29
- 1.6 - أبو سليمان السجستاني..... 29
- 2.6 _ أبو زكريا يحيى بن عدي..... 21
- 3.6 _ أبو سعيد السيرافي..... 30
- 4.6 _ علي بن عيسى الرماني..... 31
- 5.6 _ أبو حامد أحمد بن بشر المرورودي..... 31

32.....	7. مؤلفاته.....
33.....	1.7. الصداقة و الصديق.....
34.....	2.7. كتاب المقابسات.....
35.....	3.7. الإمتاع و المؤانسة.....
39.....	4.7. الإشارات الإلهية و الأنفاس الروحانية.....
39.....	5.7. الهوامل والشوامل.....
31.....	6.7. رسالة السقسفة.....
31.....	7.7. رسالة في علم الكتابة.....
31.....	9.7. رسالة الحياة.....
40.....	1.7. البصائر و الذخائر.....
40.....	10.7. مثالب الوزيرين.....
41.....	11.7. الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي.....
42.....	9. حرق التوحيدي لكتبه.....
45.....	1. أسباب الحرق.....

الفصل الثاني

55.....	1. الإمتاع و المؤانسة بين الشفاهية و الكتابة.....
63.....	2. مفهوم السرد التوحيدي.....
67.....	3. مكونات السرد التوحيدي.....
69.....	1.3. الخبر.....
71.....	2.3. الحوار.....
71.....	أ_ السؤال.....

- 74..... ب _ التعليق
- 76..... ج _ الرواية
- 77..... د _ الإسناد
- 71..... 4. مصادر الحديث لدى التوحيدي
- 90..... 4. 1_ الذاكرة
- 91..... 4. 2_ الحافظة
- 93..... 4. 3_ المتصرفة
- 94..... 5. خصائص المروي في الإمتاع والمؤانسة
- 99..... 6. الراوي
- 15..... 7. الفضاء
- 16..... 1. الفضاء الجغرافي
- 102..... 2. الفضاء النصي
- 112..... 9. الزمن

الفصل الثالث

- 111..... 1. التلقي
- 124..... 2. مستويات التلقي
- 131..... أ. متلق عام | خاص
- 132..... ب. متلق إيجابي | متلق سلبي

- ج. متلق معياري.....133.....
- د. متلق سامع | متلق قارئ.....134.....
3. مستويات التلقي في الإمتاع و المؤانسة139
- أ. متلق سامع140.....
- ب. متلق قارئ.....149
- ج. متلق متكلم | كاتب.....157.....
- الخاتمة.....164.....
- ثبت المصطلحات167.....
- المصادر والمراجع.....170.....

الملخص:

يشكل هذا البحث دراسة حداثية للموروث السردى التوحيدى وتحديدًا فى كتاب الإمتاع والمؤانسة الذى يمثل أحد أهم مؤلفاته و الذى حاول من خلاله تسليط الضوء على الحياة السائدة خلال القرن الرابع الهجرى. وإعتمادًا على نظرية التلقى و المنهج البنيوى استقصى هذا البحث خصائص الموروث السردى التوحيدى من خلال الوقوف على البنية السردية و مستويات تلقي هذه النصوص.

وقد أفضت هذه الدراسة إلى نتائج أهمها:

مدى تأثير الظروف الإجتماعية القاسية التى عاشها التوحيدى فى بلورة شخصيته حيث جعلت منه إنسانًا متشائمًا ، حاقدا على زمانه و أهل زمانه ، فقد شكلت حياته سلسلة من الإخفاقات مما زاد من سخطه على الدنيا حتى وفاته.

خلصت هذه الدراسة إلى الوقوف على خصائص السرد التوحيدى الذى إرتكز أساسًا على الخبر والحوار بتقنياته المختلفة من سؤال وجواب وتعليق ، كما ركز على أساليب الرواية و الإسناد ، إن هذا الإسناد كان نتاجًا لتعدد مصادر الحديث لدى التوحيدى و التى لم تخرج عن عناصر ثلاثة هي: الذاكرة و المتصرفة والحافظة مما أدى إلى تنوع المواضيع المسرودة وتعدد الرواة .

سلك التوحيدى مسلك شهرزاد فى مسامراته من حيث تقسيم الكتاب إلى ليالٍ ومما زاد من تميزه إختتام معظم الليالى بما أطلق عليه ملححة الوداع.

إختار التوحيدى المجلس ليكون فضاءً لمسامراته و الليل زمانًا لمحاوراته و التى استغرقت أربعين ليلة و أهم ما ميز هذه النصوص هو مرورها بزمنين زمن الحكاية وزمن الكتابة وهذا ما خلق إضطرابًا فى بنية الليالى.

مثل ابن العارض المتلقى السامع لأحاديث الإمتاع والمؤانسة و كان متلقيا معياريا متفاعلا

مع أبي حيان من خلال إصدار أحكام تخص ما يتلقاه من سرد، إيجابيا من خلال مشاركته في نسج البنية السردية عن طريق الأسئلة التي كان يطرحها على التوحيدي. مثل أبو الوفاء المهندس المتلقي القارئ والموقع على شهادة ميلاد هذه النصوص لأنه أمر التوحيدي بكتابتها وفقا لمجموعة من الشروط التي زادت من جودة العمل. لم يكن أبو الوفاء قارئاً غائبا عن الخطاب المكتوب وإنما كان حاضرا من خلال الرسالة الموثقة في المقدمة والتي املى من خلالها شروطه. شكلت الرسالة الموثقة في المقدمة الوثيقة المفتاح لكل القراء من اجل فهم ما كان يجري في مجلس الوزير ، فهي لم تكن موجهة لأبي الوفاء فقط و إنما للقارئ الناقد الذي يختلف ويتعدد بتعدد الأزمنة.

جمع التوحيدي بين وظيفتين ، فكان المتكلم في الخطاب الشفوي، والكاتب في الخطاب المكتوب

يبقى أن ثراء هذه النصوص يفتحها لاستيعاب قراءات أخرى لم يتناولها البحث.

Résumé

Cet exposé est une étude moderne du patrimoine narratif de ABU HAYAN ETTAWHIDI et précisément son ouvrage EL IMTAA WA EL MOUANASSA qui represent l' un de ses plus importants ouvrages et avec lequel il a essayé de mettre en surbrillance la vie regnante durant le qutrieme siecle AH .

En fonction de l'approche structurelle et la théorie de la reception , cet exposé à pour but d'étudier les caracteristiques du patrimoine narratif de ABI HAYEN en se tenant sur la structure narrative et les niveaux de reception de ces textes narratifs.

Les resultats auxquels cette recherche a abouti sont :

L' impact de la situation sociale difficile qu' il a vecu sur la construction de sa personnalite et qui l'a redu un homme pessimiste et rancunier et sa vie une serie d'echec jusqu'à sa mort.

Les conclusions de cette étude étaient d'identifier les caracteristiques de recit de ABU HAYAN ETTAWHIDI qui est basé sur la nouvelle avec ses differents thechniques comme : la question, la reponse et le commentaire et sur l'affirmation et l'attribution ;cette attribution est le resultat de la multitude des sources de discours chez ABU HAYAN ETAWHIDI ce qui a mené à une multitude de sujets et de narrateurs.

ETTAWHIDI a suivi le même chemin que CHIRAZED à la dècomposition de ses contes en nuits.

ETTAWHIDI à choisi le conseil d'être l'espace de ses discours et la nuits leurs temps et qui ont durè 40 nuits.

EBN ELARID a représenté le recepteurs ècouteur des conversations d' ELIMTAA WA ELMOUANASSA , il était un recepteur normatif et interactif avec abi hayan à travers la délivrance des jugements consernant le recit qu'il reçoit,possitif à travers sa participation à la construction de la structure narrative on posant des questions à ABU HAYAN .

ABOU ELWAFAA était le recepteur lecteur de ces textes parcequ'il a demmandé à ABI HAYAN de les écrire selon des coditions :

ABOU ELWAFAA n'était pas absent du texte écrit mais il était prèsent à travers la lettre rédigué au début de l'ouvrage dont il a imposé ses conditions .

La lettre rédigé au début représente le document clé de tous les lecteurs pour Comprendre ce qui se passait au sein du Conseil du ministre; elle n'tait pas adressée sauf à ABI ELWAFAA mais au lecteur qui se differents a travers le temps.

ABU HAYAN ETTAWHIDI a joué deux role ,il était le locuteur au discours oral et l'écrivain au discours écrit. La richesse des textes les permet d'avoir des lectures variées ,ne sont pas couverts dans la recherche.

Summary

This research is a modern survey of the inherited narrative of ABU HAYAN ETAWHIDI especially the book of ELIMTAA WA ELMOUANASSA ; which is one of his important writing through it, he tried to focus the light on the prevailing life during the fourth century

According to the theory of receiving and structural approach ; this research omitted the characteristics of ETAWHIDI heretical narration through stopping at the ETAWHIDI inherited narrative and the levels of reception of these texts .

This survey led to some results which are :

The effect of miserable social situation that etawhidi lived in forming his personality that made him a pessimist person ; malignant on his time and the people of his time ; so that his life made a series of failures that increased his resentment on life till his death .

This survey went to stop on the characteristics of ETAWHIDI NARRATION which is mainly based on the news and the dialogue with its different techniques with asking ; answering and commenting ; besides concentrating on the way of the novel and the attribution , this attribution was a result of the variety of sources of speaking of ETAWHIDI that leads to the variety of themes and tellers .

ETAWHIDI walks on the same way as « SHIRAZAD » in his tales in dividing the book into nights, and that made it important and special ending the majority of his nights that it was called **milhat el wadaa**

ETAWHIDI chose the board to be a space for his partye ; and the night a time for his dialogues and which took 40 nights . the most important thing that characterizes these texts , is that they pass through two times, time of story , and the time of writing , which created a disturbance in the form of night .

IBN ELARID represents the receiver/hearer of the tellings of elimtaa wa elmoanassa ; and it was an interactive normative receiver with ABU HAYAN through publishing judgements concerning the narrative that he receives positively through his participating in weaving the narrative structure ; through questions that he was asking to ETAWHIDI .

ABOU ELWAFAA represent a reader how was absent from the writing speech but he was present through the broadcast letter on the front through which he told his conditions.

The broadcast letter on the front of the document forms the key for the readers in order to understand what was happening in the board of minister ; it was not for ABI ELWAFAA only but for the critic reader who is different and varies as time

ETAWHIDI joint between two functions so that he was the speaker in the oral speech and the writer in the written speech .

The richness of the texts keeps it able to accept other reading